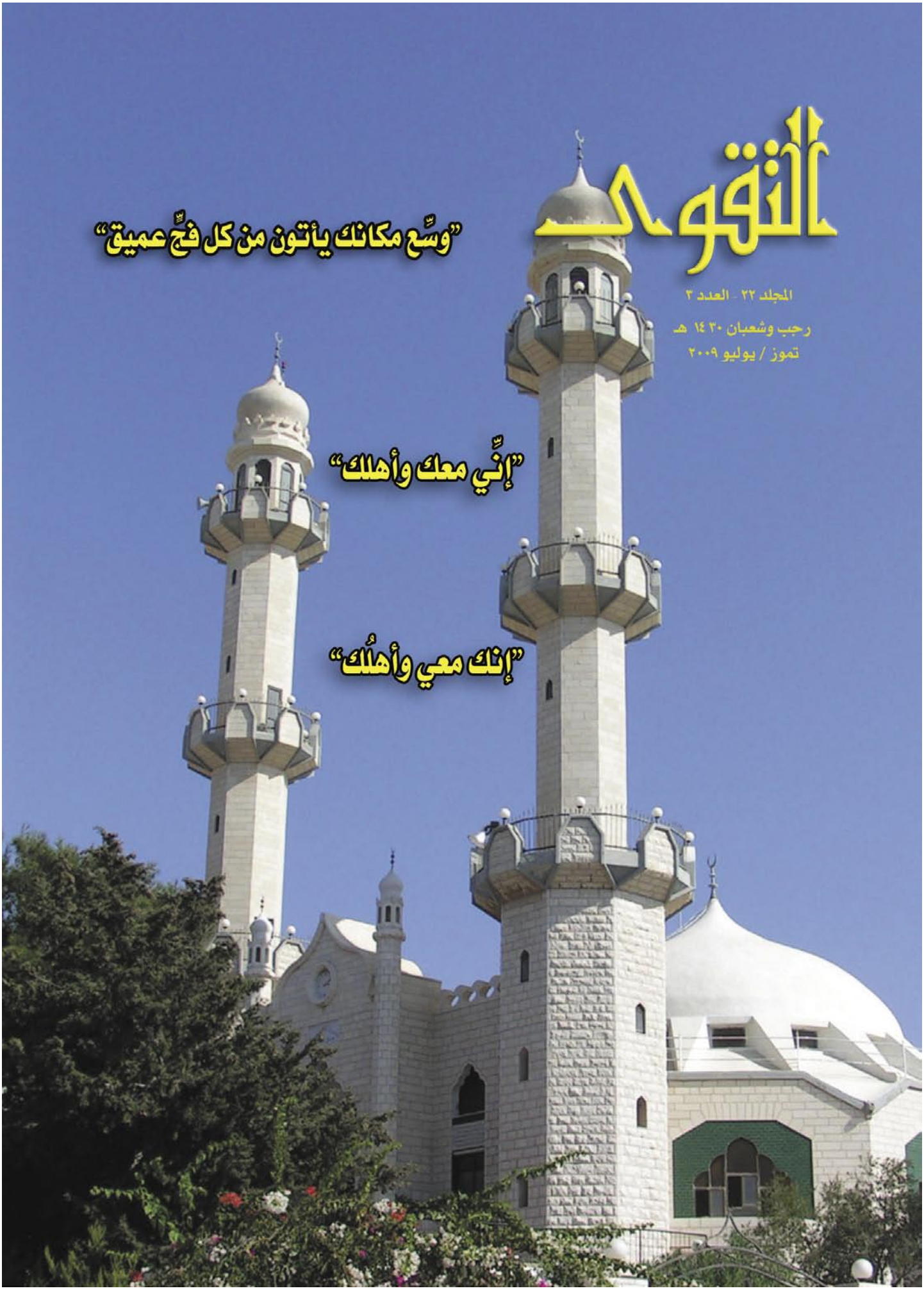

المجلد ٢٢ - العدد ٣
رجب وشعبان ١٤٣٠ هـ
تموز / يوليو ٢٠٠٩

الأحمدية هي جماعة إسلامية دينية غير سياسية، هدفها التجديد في الإسلام أي إرجاع الدين الحنيف ظاهرًا وباطنًا إلى صورته الأصلية التي أحضره بها إلى الدنيا سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ثم نشره في كل العالم. وقد أسس حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام الجماعة الإسلامية الأحمدية بأمر من الله تعالى سنة ١٨٨٩م في مدينة قاديان، الهند معلنًا أنه المسيح الموعود والمهدي المعهود الذي ينتظر ظهوره في آخر الزمان أهل الديانات السماوية جميعا.

الجماعة الإسلامية الأحمدية وحيدة بحد ذاته التي تنشر الإسلام في أنحاء العالم بالطرق السلمية، وبالحجة والبرهان، وهي النموذج الأمثل في زمننا هذا للمجتمع الإسلامي القويم الذي أقامه سيدنا محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

تعمل على رفع المستوى الديني والأخلاقي وإنشاء العلاقة الودية والأخوية بين الشعوب وإحلال السلام الحقيقي في العالم وذلك على ضوء التعاليم الإسلامية الصحيحة السمحاء.

مواردها المالية من تبرعات أبنائها لا غير، حيث يتبرع كل فرد بقدر معلوم من دخله الشهري إلى جانب تبرعات أخرى ودفع الزكاة.

تُصدر الجماعة تراجم معاني القرآن الكريم بلغات عالمية شتى وكتبًا دينية وكثيرًا من المجلات والجرائد الإسلامية.

وهبها الله محطة فضائية تفخر بها تحديثا بنعم الله على أنها أول فضائية إسلامية، تبث برامجها على مدار الساعة إلى جميع أقطار الأرض مُقدمةً الإسلام الصحيح الذي أتى به سيد الخلق ﷺ.

لها في شتى دول إفريقيا وآسيا كثير من المدارس والمعاهد والمستشفيات. تعمل لخير الناس وتعليمهم وتثقيفهم ولرفع مستواهم الروحاني والمادي.

قضى مؤسسها كل حياته مجاهدا من أجل كسر صليب الشرك والكفر، واقتلاع جذور الإلحاد، وإزالة عوامل الفرقة والاختلاف بين الناس كنتيجة مباشرة لتسرب الكثير من الإسرائيليات والمفاهيم الخاطئة إلى العقائد الإسلامية.. كما اعتصر قلبه ألمًا لضياع التوحيد بين قطاع كبير من البشر الذين جعلوا الإنسان العاجز إلها، أو اتخذوا مع الله آلهة أخرى، أو أنكروا وجود الله ومالوا إلى الإلحاد. فألف حضرته بعون الله وتأييده أكثر من ثمانين كتابا دفاعا عن الإسلام من بينها ثلاثة وعشرون بلغة الضاد. وأثبت بتأييد من الله بطلان العقائد الفاسدة التي ورثها أهل الأديان الأخرى عن الآباء والأجداد، وأنشأ هذه الجماعة لتحمل اللواء من بعده، وأقام أفرادها على البر والتقوى، ورباهم على ما ربى رسول الله ﷺ صحابته الكرام من مكارم الأخلاق.

بعد انتقال حضرة الإمام المهدي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٠٨م حقق الله تعالى ما وعد به رسوله الكريم سيدنا محمد المصطفى ﷺ من عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة في الأمة الإسلامية، فكان مولانا نور الدين رضي الله عنه خليفته الأول، تبعه الخليفة الثاني حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه ثم تلاه الخليفة الثالث حضرة مرزا ناصر أحمد – رحمه الله تعالى – ثم تلاه الخليفة الرابع حضرة مرزا طاهر أحمد – رحمه الله تعالى – ونحن الآن في العهد المبارك لخليفته الخامس حضرة مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز.

تلك هي.. باختصار شديد.. ملامح الجماعة الإسلامية الأحمدية.

التقوى

المجلد الثاني والعشرون، العدد الثالث –

رجب وشعبان ١٤٣٠ هـ -تموز/ يوليو ٢٠٠٩ م

إسلامية شهرية تصدر عن المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية في لندن، بريطانيا.

البريد الإلكتروني: altaqwa@islamahmadiyya.net الهاتف والفاكس: 0044 20 85421768

موقعنا عبر شبكة الإنترنت: http://www.islamahmadiyya.net

٢ – ٣	**الحجاب.. عادة أم عبادة**	"كلمة "التقوى"
٤ – ٩	**القرآن الكريم يبرئ ساحة يوسف الصديق من أي تقصير**	في رحاب القرآن الكريم
١٠	**من نفحات أكمل خلق الله سيدنا محمد المصطفى ﷺ**	أحاديث نبوية شريفة مختارة
١١ – ١٣	**سرُّ الخلافة** – القسط الثامن من كتاب المسيح الموعود عليه السلام	
١٤ – ٢٣	**تحقق نبوءة "وسع مكانك"** (خطبة الجمعة)	
٢٤	**ووالله هذا كلُّه من محمد** قصيدة لحضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام	
٢٥	**حكمٌ ونوادرُ** مصطفى المزكلدي	
٢٦ – ٢٧	**الذكرى السنوية العاشرة لهدايتي** هاني طاهر	
٢٨ – ٣٤	**العنف ضد الأطفال** د. إيهاب حمود	
٣٥	**من تاريخ الطب العربي** هديل فضل عودة	

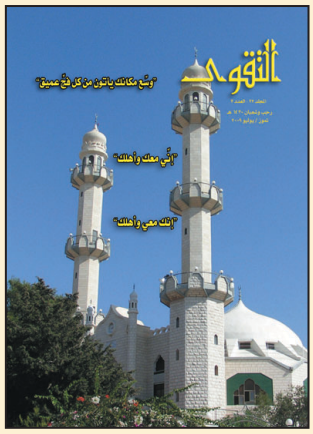

مسجد "سيدنا محمود" الكبابير، الديار المقدسة.

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

هـــاني طاهـــر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

التوزيع

مظفر أحمد

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

جميع الاتصالات والمراسلات تُوجَّه إلى العنوان التالي:

The Editor Al Taqwa, P.O.Box 54094 London SW19 3XF, United Kingdom

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة

تكتب الحوالات المصرفية والبريدية باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

الحجاب.. عادة أم عبادة

يُثار في الساحة العالمية بين فينة وأخرى موضوع الحجاب الإسلامي، الأمر الذي يستقطب اهتمام وسائل الإعلام لمناقشة جوانبه ودواعيه ومشروعيته فتُعد برامج وندوات تلوح تارة بمشكك فيه وأخرى بطاعن. وإن المشاهد لهذه الحملات يدرك مدى تأثير هذه المواضيع التي لم يكن القصد منها سوى تسجيل موقف على حساب تعاليم الدين الحنيف الذي أكرم المرأة وصان كرامتها وعفّتها بما يصونها من شرور المُهْلِكَات من ذوي القلوب المريضة الذين يستبيحون الحرمات والأعراض.

ولعل في ثقافة المجتمعات الغربية صورة حية ومثال واضح لهذه المهلكات حيث يُنظر للمرأة كمادة للإثارة والدعاية والتسويق وأداة لإشباع الغرائز. فبالرغم من أنها قد ارتقت ماديا وعلميا وتتمتع بحقوق مدنية إلا أنها لم تتطور روحانيا بما يساعدها على التخلص من الأدناس والأرجاس التي ما فتئت تُلوث منظومتهم الاجتماعية وهذا من أخطر العلل وأعظم الزلات. ولم يخفَ عن النبي ﷺ وصف حال المرأة في هذه الأزمنة الأخيرة حيث قال: "صنفان من أهل النار لم أرهما. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. **ونساء كاسيات عاريات، مميلات، مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة**، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها. وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا." (صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة)

والمقصود من نساء كاسيات عاريات جَلِيٌّ كالشمس أي أنهن سيكسُنّ ويغطين أجسادهن جزئيا ولكنهن يظهرن عاريات رغم كسوتهن. ولا يخفى على أحد ما ابتدع من فنون الملبوسات وعروض الأزياء التي يطلق عليها "الموضة" نوازع قوم مالوا إلى إظهار المفاتن وتحفيز السفور ونشره بين النساء في كل الأمم والشعوب والثقافات. فإن كان اللباس في أصله وحقيقته ستر الجسد والعورة على مرّ التاريخ الإنساني إلا أنه في عصرنا قد تجرد عن هذا الأصل والمقصد إلى ما يناقضه.

فلما علم القوم أن الحجاب في تعاليم الإسلام يضمن للمرأة المسلمة علياءها وتقواها ويؤكد إيمانها وإخلاصها لربها شهروا عليها أقلاما شرسة وحرضوا أهل التمكين والساسة. وإن المتابع لساحة الأحداث يجد على سبيل المثال دولة كفرنسا التي تحمل شعار الحرية والأخوة والمساواة تنوي سن قانون يمنع السيدات المسلمات من حقهن في ارتداء الحجاب في المؤسسات التعليمية والعامة وجعلوا هذه المسألة على هرم برنامجهم الانتخابي بل وتعالت تصريحات كبار ساستها تحيزا وشططا همزا ولمزا في أمر يخص المرأة المسلمة واعتبار تعليم القرآن تعليما رجعيا يحتقر المرأة على حد زعمهم. ويتذرعون أنه من الرموز الدينية التي يجب عدم إبرازها في الأماكن ذات الصلة بالمؤسسات العامة باعتبارها تتنافى والقوانين العلمانية التي تأسست عليها الدولة. ولا يكاد المتابع للأحداث يستفيق من هول الصدمة حتى تلحقه أخرى بما صدر من أحد المؤسسات الإسلامية العريقة في البلاد العربية التي ألبست الحق بالباطل فارتضت

لنفسها التكتم بمعرفتها وعلمها الديني وألجمت نفسها بلجام من نار ليصفو هاجِسُ أسيادها فعدَلتْ عن الطريق القويم والصراط المستقيم الذي كان عليها أن تصدع به وتتمسك به، لكن للأسف فقد اختارت أن يكون صوتها عُجْمَةً بلسان غيرها استرضاء وموالاة، مبررة موقفها أن هذا الأمر راجع لفرنسا وحدها في تقرير مصير رعاياها. في حين أننا نجد في دول مجاورة لفرنسا كبريطانيا شخصيات عديدة منصفة لها من المواقف السديدة التي تقف سدًّا في وجه الغلاة العلمانيين المتطرفين منبهين إياهم أنه لو سمحنا بمنع الحجاب اليوم فهذا يعني أننا سنحرم غدا السيخي من عمامته ثم القسيس من ارتداء الصليب على صدره.

ولم تكن فرنسا السباقة في هذا المضمار بل إننا سمعنا الكثير عن ما تشنه إحدى الدول الإسلامية في شمال أفريقيا من ويلات على المتحجبات رغم أنها لم تسن قانونا من أجل ذلك. ولكن حملاتها العنيفة هي بمثابة حرب باردة، ولعل إفراطها في محاربته يكون خضوعا لإملاءات الغير، إذ ما الداعي لكل هذا الإفراط في ردة الفعل هذه ضد الحجاب؟ ونرى أن ذلك تجاوز على حق من حقوق الإنسان في الاعتقاد والممارسة الدينية. ونحن لا ننكر أن الحجاب قد تم استغلاله استغلالا فاحشا عن طريق حركات دينية سياسية أصولية متعطشة إلى السلطة، للترويج لبرنامجها وفكرها المتعصب الذي يُوحي بالعدد الكبير للمنخرطين في تنظيماتها الحزبية أو حركاتها السرية المسلحة الملطخة بدماء الأبرياء، بما يجعل الأجهزة الأمنية تتوجس من تلك الحركات لمسلكها المريب فتسعى للتدخل في شأن الحياة الاجتماعية للأسر الملتزمة التي ترتدي فيه الأم أو الأخت الحجاب امتثالا لأمر الله لتسد الطريق أمام خطر داهم يخترق المجتمع ويهدد كيان الوطن والمواطن.. فلولا أن قطعة القماش البيضاء الصغيرة التي يخيط منها أصحاب فكر التكفير والتفجير الحجاب تركوها لمن يصنع منها علما أبيضا يلوح في أفق الشارع الإسلامي لإبراز سلم الدين الحنيف على الملأ، لاتضح الأمر لكل من هبَّ ودبَّ. ولكن ولسوء الحظ أصبحت قطعة القماش هذه دلالة على الإرهاب الذي نُسب ظلما وعدوانا للدين الإسلامي. ففي خِضم هذه الحملة مهما قدمنا من أدلة وبراهين لن نتمكن من إثبات أن الحجاب عبادة لا عادة ما لم يبرئه من يرتديه من نجس الإرهاب، سلّم الله منه العالم أجمع.

ولعله من المغالطات السائدة عن الحجاب أنه يُنظر إليه باعتباره من العادات الإسلامية لا باعتباره عبادة، كما اقتصرت نظرة كثير من الناس عن إدراك فلسفته ومقاصده ظاهرا فحسب دون أن يدركوا أن الشريعة زُينت بمقاصده الروحية لإصلاح النفس. فقد بينت الجماعة الإسلامية الأحمدية معناه في ضوء تعاليم القرآن والسنة وأقوال المسيح الموعود عليه السلام وخلفائه الأطهار. ولسنا هنا في معرض التأصيل للحجاب بقدر ما يهمنا بيان مقاصده الباطنة أو الروحية التي هي الحجاب الروحي قبل الحجاب الخارجي والذي لا غنى لأحدهما عن الآخر بحال من الأحوال. كما نود التأكيد أن الحجاب الباطني فُرض على كل مسلم ومسلمة ذَكرا كان أو أنثى بدليل ما أمر الله به كلا الجنسين مؤمنين ومؤمنات بغض البصر صيانة للنفس وتطهيرا للقلب كأول مدخل للحديث عن الحجاب الظاهري التعبدي المخصوص بالنساء.

إن الجماعة الإسلامية الأحمدية تتمسك بالحجاب الإسلامي بتأصيله الصحيح ومغزاه الظاهري والباطني عقيدة ومسلكا وتجدون بين طيات أقوال سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام وخلفائه الأطهار ما يُبين أهميته وضرورته وحقيقته، وفقنا الله تعالى للحفاظ على قيمنا في هذا الزمن وحمانا من الإنجراف وراء الدجال وأفكاره الزائفة حول حرية المرأة ولنقتدي بما قامت به نساء النبي الكريم ﷺ. وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القرآن الكريم يبرئ ساحة يوسف الصديق من أي تقصير

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ * فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ * وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ* ..... يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ * وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ *

(سورة يوسف)

من دروس:

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رضي الله عنه

الخليفة الثاني لحضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٤)

شرح الكلمات:

أصبُ: صبا يصبو صَبْوًا وصُبُوّاً وصبًا وصباءً: مال إلى الصبوة أي جَهْل الفتوة، ومنه أن نفسه تصبو إلى الخير، وهو يصبو إلى معالي الأمور. صبا إليه صَبوَةً وصُبْوَةً وصُبُوّاً: حنّ إليه (الأقرب).

الجاهلين: الجهلُ على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم؛ والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه؛ والثالث: فعلُ الشيء بخلاف ما حقُّه أن يُفعل (المفردات).

التفسير:

لقد أكد الله في الآية السابقة براءة يوسف بلسان امرأة العزيز، وهنا أكدها بلسان يوسف نفسه وهو يبتهل إلى ربه قائلاً: يا ربِّ إن لم تردَّ عني مكرهن فسوف أميل إليهن. مما يعني أنه لم يكن قد مال إليهن من قبل هذا، ناهيك

أن يرتكب الفاحشة معها. أوليس غريبًا أن المرأة نفسها تعلن أنه لم يمل إليها، كما يؤكد ذلك يوسف بلسانه أيضًا، ثم إن النسوة اللاتي رأينه شهدْنَ أن صدور المعصية من مثل هذا الملَك الكريم أمر مستحيل، ويأتي المفسرون بعد الحادث بآلاف السنين لكي يعلنوا أن يوسف كان قد مال إلى ارتكاب الفاحشة أولاً، ولكنه تنبه فيما بعد وتاب!

لقد ذكرنا إلى الآن عديدًا من المشابهات بين سيدنا يوسف والرسول الكريم عليهما السلام، ولكن هذه الآية توضح الفارق بين النبيين الكريمين، وتبين فضل النبي وعظمته ﷺ. ذلك أن سيدنا يوسف يستغيث الله تعالى بأن ينقذه من تلك المصيبة بإلقائه في المصيبة الأخرى، ولكن من سنة الرسول الكريم محمد ﷺ أنه كان يسأل ربه العافية والخير دائماً، لأنه عزّ وجل قادر على ردّ المصيبة بإعطاء النعمة.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

(يوسف: ٣٥)

وأرى أن المراد من الآيات المذكورة هنا هو الفضيحة المتزايدة التي تعرضت لها امرأة العزيز .. فرأوا من الأنسب أن يسجنوه ليتوهم الناس أن يوسف هو الجاني وأن امرأة العزيز بريئة، وذلك محاولةً منهم لاستعادة ما فقدته هذه المرأة من عزة واحترام.

شرح الكلمات:

استجاب: استجاب الله فلاناً وله ومنه: قبِل دعاءه وقضى حاجته (الأقرب).

التفسير:

أي أن الله تعالى خيّب آمالهن الشريرة في يوسف وجعلهن يَيْأسْن منه، كما زاد قلبه قوة وثباتًا.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾

(يوسف: ٣٦)

شرح الكلمات:

بَدا: بدا له في الأمر: نشأ له فيه رأيٌ (الأقرب).

التفسير:

لم يكن دخوله السجن استجابة لدعائه، لأن الدعاء لدخول السجن لم يكن حلاً حقيقياً لما هو فيه، وقد ذكرت الآية السابقة أن الله تعالى صرفَ عنه كيدهن استجابة لدعائه. لا شك أن يوسف عليه السلام كان قد دعا ربّه أن يُدخله السجن، ولكن الله تعالى استجاب لدعائه بأن دفع بَلاءَه بطريق آخر أفضل دون أن يُدخله السجن. ثم إنه بعد مرورِ فترةٍ من الزمن طرأت ظروف مختلفة أدت إلى دخوله السجن، كما يصرح الله تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليَسجُنُنَّه حتى حين﴾. وأرى أن المراد من الآيات المذكورة هنا هو الفضيحة المتزايدة التي تعرضت لها امرأة العزيز.. فرأوا

من الأنسب أن يسجنوه ليتوهم الناس أن يوسف هو الجاني وأن امرأة العزيز بريئة، وذلك محاولةً منهم لاستعادة ما فقدته هذه المرأة من عزة واحترام.

تقول التوراة بأن العزيز سجن سيدنا يوسف أول ما نشب الخصام (التكوين ٣٩: ١٩). ولكن القرآن الكريم يعارض التوراة في زعمها هذا ويرى أنه سُجن فيما بعد. وكما سبق أن بينتُ فإن بيان التوراة مرفوض حتى بناءً على ما ورد فيها في أماكن أُخرى، فمثلاً قد جاء فيها: "فسخط فرعون على خَصِيَّيه رئيسِ السقاة ورئيسِ الخبّازين، فوضعهما في حبس بيت رئيسِ الشُّرَط في بيتِ السجن المكانِ الذي كان يوسف محبوسًا فيه. فأقام رئيس الشرط يوسفَ عندهما". (التكوين٤٠: ٢-٤). فثبت جليًا أن العزيز كان يرى يوسف عليه السلام صادقًا في قوله حول الحادث، وأنه لم يسجنه في بداية الأمر، وإنما اضطر لسجنه فيما بعد لبعض المصالح الأخرى.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٣٧).

شرح الكلمات:

أعصرُ خمرًا: عصرَ العنبَ ونحوهُ يعصرُ عصرًا: استخرجَ ماءه. عصَرَ الثوبَ: استخرجَ ماءه بلَيِّه. وعصرَ الدمّل: استخرجَ مِدّته.عصر الركضُ الفرسَ: عرّقه. عصر الشيءَ عنه: منعه. وعصر فلانًا: أعطاه العطيةَ. عصره: حبسه (الأقرب).

التفسير:

قوله تعالى ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ لا يعني بالضرورة أنهما دخلا السجن في نفس اليوم أو الوقت الذي دخل فيه يوسف. نعم، لا بدّ أن يكونا قد أُسكنا في السجن في المكان الذي كان يسكنه يوسف عليه السلام. وهذا ما تؤكده التوراة أيضًا، حيث جاء فيها: فسخط فرعون على خصيّيه رئيس السقاة ورئيس الخبازين؛ فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرط في بيتِ السجن، المكانِ الذي كان يوسف محبوسًا فيه. فأقام رئيس الشرط يوسف عندهما(التكوين٤٠: ٢).

وحُلم الفتيين هذا موجود في سفر (التكوين ٤٠) بتفصيل أكثر ولكن المعنى واحد. والحق أن سؤالهما سيدَنا يوسف عليه السلام عن تأويل الحلم إنما يدل على أنه كان شهيرًا بين أهل السجن بحسن سيرته وعظيم صلاحه، وإلاّ لما سَأَلَهُ الناس عن تفسير الأحلام إذا كان من ذوي الصلاح العادي. ثم إن الفَتَيين أيضا يعترفان بعظيم صلاحه قائلين: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٣٨)

شرح الكلمات:

نبّأتكما: نبّأه الخبر وبالخبر: خبّره، ويقال: نبأت زيدًا أمرًا منطلقًا أي أعلمته. النبأ: الخبر. وقال في الكليات: النبأ والأنباء لم يرد في القرآن إلا لما له وقعٌ وشأنٌ عظيم (الأقرب).

التفسير:

لقد لفت سيدنا يوسف انتباه الفتيين إلى نفسه بطريقة بارعة. كان يخاف أن يتضايقا من تبليغه فلذا طمأنهما أولاً بأنني لن آخذ من وقتكما كثيرًا، بل سوف أقضي حاجتكما قبل أن يأتيكما الطعام. ويبدو من ذلك أنهم في القديم أيضًا كانوا يمنحون السجناء قبل موعد الطعام فسحة يروّحون فيها عن أنفسهم ويتجاذبون أطراف الحديث كما هي العادة الشائعة في هذا العصر.

المماثلة الثانية عشرة: هنا أيضًا نجد تشابهًا بين سيدنا يوسف وبين نبينا المصطفى عليهما السلام، إذ إن سيدنا يوسف عليه السلام -كما يبدو- كان لا يجد فرصةً لدعوتهما إلى الله فلذا وَجَدَ في سؤالهما إيّاه فرصةً سانحةً للتبليغ مدركاً أنهما لا بد أن يصغيا إلى حديثه انتظاراً لسماع تأويل الأحلام.

هكذا كان يفعل رسولنا الكريم ﷺ، ففي بداية دعوته عندما أراد تبليغ الرسالة و لم يسمعه أعيان مكة. دعاهم لمأدبة طعام، وبعد أن فرغوا من الطعام أراد دعوتهم إلى الإسلام، ولكنهم لم يستمعوا له، وخرجوا من عنده. فأقام لهم مأدبة أخرى، ولكنه في هذه المرة أخذ حيطته وشرح لهم دعواه قبل إحضار الطعام، فاضطروا للإصغاء إليه وهم في انتظار الطعام.

كان يخاف أن يتضايقا من تبليغه فلذا طمأنهما أولاً بأنني لن آخذ من وقتكما كثيرًا، بل سوف أقضي حاجتكما قبل أن يأتيكما الطعام. ويبدو من ذلك أنهم في القديم أيضًا كانوا يمنحون السجناء قبل موعد الطعام فسحة يروّحون فيها عن أنفسهم ويتجاذبون أطراف الحديث كما هي العادة الشائعة في هذا العصر.

فهذه الآية تبين لنا سنة أنبياء الله عليهم السلام في مجال تبليغ الدعوة، وعلينا أن نتأسّى بها دائمًا في وعظنا حتى نتمكن من قول ما نريد من حيث لا نثقل على الناس.

وبقوله ﴿ذلكما مما علّمني ربي﴾ برهن على أن ما اتبعه هو الدين الحق، لأن الدين الحق هو ما يؤتي ثماره في كل حين ويوصل الإنسان بخالقه عزّ وجل.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف: ٣٩)

التفسير:

أي أن الدين الذي اتبعه قد ساعد الناس دوماً على الوصال بالله تعالى، وأنه لَفضلٌ كبير من الله علينا أنه مهّد هذا الطريق للعباد لكي يصلوا إليه، ولكن المؤسف أنهم لا يقدّرون هذه المنة الإلهية حق قدرها.

ووضح بقوله ﴿ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ أن النبوة لا تمثل نعمة لمن يتشرف بها فحسب، بل أنها إنعام إلهي على المؤمنين جميعًا، إذ ينتفعون من هذا المعين السماوي على قدر مراتبهم وجهودهم، كما أن الكفار أيضًا ينتفعون به رغم رفضهم للنبي، إذ يبدأون في رفض العديد مما لديهم من عقائد فاسدة وأفكار ضالة تأثرًا بتعاليمه.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٤٠)

شرح الكلمات:

القهّارُ: قهرَه قهرًا: غلبه فهو قاهر. وتقول أخذتُهم قهرًا أي من غير رضاهم. القهّار فعّال للمبالغة وهو اسم من الأسماء الحسنى (الأقرب).

التفسير:

يقول سيدنا يوسف إن أهل الدنيا ينتصرون على الآخرين بكثرة الأعوان والمساعدين، ولكن ربي ذو شأن عجيب، فإنه واحد أحد ومع ذلك غالب يقهر الجميع.

إن هذا التركيز الشديد من يوسف عليه السلام على هذه الصفات الإلهية لدليل على كماله الروحاني، مما يجدد إيمان المرء ويزيده.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لله أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤١)

شرح الكلمات:

القيّم: دينًا قيّمًا أي ثابتًا مقوِّما لأمور معاشهم ومعادهم (المفردات). القيِّم على الأمر: متولّيه. القيّمة: الديانة المستقيمة (الأقرب).

التفسير:

يقول سيدنا يوسف عليه السلام: ما الفائدة من عبادة أشياء لا دليل على وجودها، بل هي أسماء اخترعتموها من عند أنفسكم، لايقوم على وجودها أي برهان ولا يصحبها من الله تعالى أي تأييد.

لقد أشار بذلك إلى مبدأ هام للغاية وهو: أن من يبعثه الله تعالى نبيًّا لابدَّ أن يأتي مصحوبًا ببرهان وتأييد من عنده تعالى. والواقع أن أهل الأديان المختلفة يختصمون فيما بينهم عبثًا. عليهم أن يلتفتوا إلى هذا المقياس اليقيني لمعرفة الصادق ويروا ما هو الدليل الذي أتى به هذا المدّعي من عند الله. ذلك أن العقل لا يستسيغ أبداً أن يرتكز الدين الحق على الأدلة العقلية فقط من غير أي تأييد سماوي. كلا، بل إن الذي يأتي من السماء لا بدّ أن يأتي مصحوبًا بأدلة سماوية أيضًا.

وقد بين بقوله: (ذلك الدين القيّم) أن الدين الحق إنما هو ما يسدّ للإنسان حاجات المعاش والمعاد معًا ويقدم تعليمًا يُصلح حالتيه الروحانية والجسمانية.

كما أشار بـــ"ذلك" إلى أنه لن يحقق هذه الأهداف إلاّ ذلك الدين الذي ينقذ الناس من الوثنية والشرك. وهذه حقيقة عظيمة للغاية، ولا جرم أن الشرك عقبة كأداء تعترض سبيل رقي الإنسان، إذ كيف يمكن لقوم يعبدون شتى عناصر الكون كالنار والهواء والجبال وغيرها أن يهبّوا لتحطيمها وتسخيرها لخدمتهم وتطورهم. إنما ينتفع من النواميس الطبيعية من يؤمن بأن كل ما في الكون هو من صنع الله تعالى خَلَقَه لنفع الإنسانية.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤٢)

شرح الكلمات:

فيُصلب: صلَبه أي القاتلَ كضَرَبَه صلبًا: جعلهُ مصلوبًا. وفي لسان العرب: الصلبُ هذه القتلة المعروفة

وأصله من الصليب وهو الودكُ. صَلَبَ اللحمَ: شواه فأساله أي الودكَ منه. صَلَبَ العظام: جمعها وطبخها واستخرج ودكها ليؤتدَم به. والصليب: الودك. وفي الصحاح: (الصليب) هو ودكُ العظام، وبه سُمّي المصلوب لما يسيل من ودكه، والصُلب- هذه القتلة المعروفة- مشتق من ذلك، لأن ودَكه وصديده يسيل (تاج العروس).

التفسير:

هنا ينشأ سؤال يقول: كان سيدنا يوسف عليه السلام مجرد معبّر للرؤيا، فكيف ادّعى بأنه قد حُسم الأمر الذي تسألانّي عنه؟ والجواب: إن للتفسير أيضاً علاقة وثيقة بما سيتحقق ويحدث نتيجة الحلم. والواقع أنه لا يكون للرؤيا أهمية كبيرة قبل أن يقصها صاحبها. أما إذا حُكيَت فعُبِّرت فإن الله تعالى يغار لها ويحققها كما عُبِّرت في معظم الأحيان. ولذلك قال الصوفية، بل وقد أشار الحديث النبوي الشريف إلى أن الرؤيا المنذرة يجب على الأنسان أن يتجنب عن ذكرها للآخرين (البخاري، التعبير). ولذلك نجد أن السجينَيْن لما ذَكَرا حلميهما، أخبرهما يوسف عليه السلام بتعبيرهما مؤكداً أن الحلمين سوفَ يتحققان حتمًا.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: ٤٣)

شرح الكلمات:

بضع: البضعُ ما بين الثلاث إلى التسع (الأقرب).

التفسير:

التمس يوسف عليه السلام من الفتى الذي أيقن بنجاته من العقاب أن يذكره عند الملك عندما يرجع إليه ويخبره أن يوسف مودع في السجن دونما ذنب. ولكن الفتى نسيَ التماس يوسف و لم يذكره عند الملك، وذلك لانشغاله بمشاغله الشريرة حيث كان يَسْقي الخمر للناس في البلاط.

لقد فسّر البعض قوله تعالى ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ بأن الشيطان أنسى يوسف أن يذكر ربّه ﷻ أي أن يقول: إن شاء الله. والحق أنه لم يكن هناك من داعٍ ليقول يوسف: إن شاء الله، كما لم يحدث منه هذا التقصير. بل قد جاءت كلمة (رب) في قوله: "ذكر ربه" بمعنى الملك كما جاءت أيضاً في قوله:(عند ربك). فلا داعي لأخذ كلمة (رب) هنا بمعنى الرب ﷻ، لنستدل بذلك أنَّ يوسف عليه السلام تغافل عن ذكر الله ﷻ، بل المعنى الواضح البسيط هو أن هذا الفتى الناجي من السجن أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده، أي الملك، بمعنى أنه بسبب الأعمال الشيطانية مثل شرب الخمر وتوزيعها زال عن الفتى التأثيرُ الطيب الذي تركته فيه صُحبةُ يوسف عليه السلام، فلم يفكر في يوسف ولم يذكره عند الملك كما وصّاه بذلك.

فبالرغم من هذا المعنى الواضح للآية، الذي يبرئُ ساحة يوسف من مثل هذا التقصير، لا داعي أن نأخذ بأي معنىً آخر يسيء إليه عليه السلام.

وقد استخدم كلمة (ظنَّ) في قوله تعالى ﴿وقال للذي ظنّ أنه ناجٍ﴾ لأن رؤيا الإنسان الذي ليس نبيّاً مهما كانت تحمل طابع اليقين إلاّ أنها لا تخلو من شائبة الشك، فلذلك يعبَّر عنها بالظن. إنما هم الأنبياء فقط الذين يستطيع الإنسان أن يحلف عن وحيهم أنه حق وصدق. وهذا أحد الفروق الهامة بين وحي الأنبياء وغيرهم.

من نفحات أكمل خلق الله سيدنا محمد ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن)

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ. (صحيح مسلم، كتاب الدعوات)

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ. وَأَهْلِ النَّارِ كُلُّ جَوَّاظٍ عُتُلٍّ مُسْتَكْبِرٍ. (صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً. عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ. (مسند أحمد بن حنبل)

سرُّ الخلافة (٨)

رأت أسرة "التقوى" نشر كتاب حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام "سر الخلافة" – في هذه الزاوية عبر حلقات –
الذى رد فيه حضرته على أهم خلاف نشب بين المسلمين.. السنة والشيعة،
آملةً أن يستنير القارئ العربي بالتحليل الموضوعي والبيان البلاغي للحَكَم العدل.

كلام موجز في فضائل أبي بكر الصّديق
رضي الله عنه وأرضاه

كان رضي الله عنه عارفا تامَّ المعرفة، حليم الخلق رحيم الفطرة، وكان يعيش في زيّ الانكسار والغربة، وكان كثير العفو والشفقة والرحمة، وكان يُعرف بنور الجبهة. وكان شديد التعلق بالمصطفى، والتصقت روحه بروح خير الورى، وغشيه من النور ما غشّى مقتداه محبوب المولى، واختفى تحت شعشعان نور الرسول وفيوضه العظمى. وكان ممتازًا من سائر الناس في فهم القرآن وفي محبة سيد الرسل وفخر نوع الإنسان. ولما تجلى له النشأة الأخروية والأسرار الإلهية، نفَض التعلقات الدنيوية، ونبَذ العُلق الجسمانية، وانصبغ بصبغ المحبوب، وترك كل مُراد للواحد المطلوب، وتجردت نفسه عن كدورات الجسد، وتلونت بلون الحق الأحد، وغابت في مرضاة ربّ العالمين. وإذا تمكن الحبُّ الصادق الإلهي من جميع عروق نفسه، وجذر قلبه وذرات وجوده، وظهرت أنواره في أفعاله وأقواله وقيامه وقعوده، سُمّي صدّيقًا وأُعطي علمًا غضا طريّا وعميقا، من حضرة خير الواهبين. فكان الصدق له ملكة مستقرة وعادة طبعية، وبدت فيه آثاره وأنواره في كل قول وفعل، وحركة وسكون، وحواس وأنفاس، وأُدخل في المنعمين عليهم من رب السماوات والأرضين. وإنه كان نُسخة إجمالية من كتاب النبوة، وكان إمام أرباب الفضل والفتوة، ومن بقية طين النبيين.

ولا تحسب قولنا هذا نوعًا من المبالغة ولا من قبيل المسامحة والتجوز، ولا من فور عين المحبة، بل هو الحقيقة التي ظهرت عليَّ من حضرة العزة. وكان مشربه رضي الله عنه التوكل على رب الأرباب، وقلة الالتفات إلى الأسباب، وكان كظلٍ

لرسولنا وسيدنا ﷺ في جميع الآداب، وكانت له مناسبة أزلية بحضرة خير البرية، ولذلك حصل له من الفيض في الساعة الواحدة ما لم يحصل للآخرين في الأزمنة المتطاولة والأقطار المتباعدة. واعلم أن الفيوض لا تتوجه إلى أحد إلا بالمناسبات، وكذلك جرت عادة الله في الكائنات، فالذي لم يُعطه القسّام ذرة مناسبة بالأولياء والأصفياء، فهذا الحرمان هو الذي يُعبَّر بالشقوة والشقاوة عند حضرة الكبرياء. والسعيد الأتم الأكمل هو الذي أحاط عادات الحبيب حتى ضاهاه في الألفاظ والكلمات والأساليب. والأشقياء لا يفهمون هذا الكمال كالأكمه الذي لا يرى الألوان والأشكال، ولا حظ للشقي إلا من تجليات العظموت والهيبة، فإن فطرته لا ترى آيات الرحمة، ولا تشم ريح الجذبات والمحبة، ولا تدري ما المصافاة والصلاح، والأنس والانشراح، فإنها ممتلئة بظلمات، فكيف تنـــزل بها أنوار بركات؟ بل نفس الشقي تتموج تموُّجَ الريح العاصفة، وتشغله جذباتها عن رؤية الحق والحقيقة، فلا يجيء كأهل السعادة راغبا في المعرفة. وأما الصدّيق فقد خُلق متوجّها إلى مبدأ الفيضان، ومقبلا على رسول الرحمن، فلذلك كان أحق الناس بحلول صفات النبوة، وأولى بأن يكون خليفة لحضرة خير البرية، ويتحد مع متبوعه ويوافقه بأتم الوفاق، ويكون له مظهرًا في جميع الأخلاق والسير والعادة وترك تعلقات الأنفس والآفاق، ولا يطرأ عليه الانفكاك بالسيوف والأسنة، ويكون مستقرا على تلك الحالة ولا يزعجه شيء من المصائب والتخويفات واللوم واللعنة، ويكون الداخل في جوهر روحه صدقا وصفاء وثباتا واتقاء، ولو ارتد العالم كلّه لا يُباليهم ولا يتأخر بل يقدم قدمه كل حين.

ولأجل ذلك قَفَّى الله ذكر الصدّيقين بعد النبيين، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾* . وفي ذلك إشارات إلى الصدّيق وتفضيله على الآخرين، فإن النبي ﷺ ما سمى أحدًا من الصحابة صدّيقًا إلا إياه، ليُظهر مقامه ورَيّاه، فانظر كالمتدبرين.

وفي الآية إشارة عظيمة إلى مراتب الكمال وأهلها لقوم سالكين. وإنا إذا تدبرنا هذه الآية، وبلّغنا الفكر إلى النهاية، فانكشف أن هذه الآية أكبر شواهد كمالات الصدّيق، وفيها سرّ عميق ينكشف على كل من يتمايل على التحقيق. فإن أبا بكر سُمّي صدّيقًا على لسان الرسول المقبول، والفرقان أَلْحقَ الصدّيقين بالأنبياء كما لا يخفى على ذوي العقول، ولا نجد إطلاق هذا اللقب والخطاب على أحد من الأصحاب، فثبت فضيلة الصدّيق الأمين، فإن اسمه ذُكر بعد النبيين.

فانظر بالإنابة وفارِقْ غشاوة الاسترابة، فإن الأسرار الخفية مطويّة في إشارات القرآن، ومن قرأ القرآن فابتلع كل المعارف، ولو ما أحستها بحاسة الوجدانُ. وتنكشف هذه الحقائق متجردةً عن الألبسة على نفوس ذوي العرفان، فإن أهل المعرفة يسقطون بحضرة العزة، فتمسّ روحهم دقائقَ لا تمسّها أحدٌ من العالمين. فكلماتهم كلمات، ومن دونها خرافات، ولكنهم يتكلمون بأعلى الإشارة حتى يتجاوزون نظر النظّارة، فيُكفّرهم كل غبي من عدم فهم العبارة. فإنهم قوم منقطعون لا يُشابههم أحدٌ ولا يُشابهون أحدًا، ولا يعبدون إلا أحدًا، ولا ينظرون إلى المتلاعبين. كفَلهم الله كرجل كفَل يتيما، ففوّضه إلى مرضعة حتى صار فطيما، ثم ربّاه وعلّمه تعليما، ثم جعله وارث ورثائه، ومنَّ عليه منّا عظيما، فتبارك الله خير المحسنين.

---

* النساء: ٧٠

في فضائل علي رضي الله عنه

اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه

كان رضي الله عنه تقيًّا نقيًّا من الذين هم أحب الناس إلى الرحمن، ومن نخب الجيل وسادات الزمان. أسد الله الغالب وفتى الله الحنّان، نديّ الكف طيب الجنان. وكان شجاعا وحيدًا لا يُزايل مركزه في الميدان ولو قابله فوج من أهل العدوان. أنفد العمر بعيش أنكد وبلغ النهاية في زهادة نوع الإنسان. وكان أول الرجال في إعطاء النشب وإماطة الشجب وتفقُّد اليتامى والمساكين والجيران. وكان يجلّي أنواع بسالة في معارك وكان مظهر العجائب في هيجاء السيف والسنان. ومع ذلك كان عذب البيان فصيح اللسان. وكان يُدخل بيانه في جذر القلوب ويجلو به صدأ الأذهان، ويجلي مطلعه بنور البرهان. وكان قادرًا على أنواع الأسلوب، ومن ناضله فيها فاعتذر إليه اعتذار المغلوب. وكان كاملا في كل خير وفي طرق البلاغة والفصاحة، ومن أنكر كماله فقد سلك مسلك الوقاحة. وكان يندب إلى مواساة المضطرّ، ويأمر بإطعام القانع والمعترّ، وكان من عباد الله المقربين.

ومع ذلك كان من السابقين في ارتضاع كأس الفرقان، وأُعطِي له فهم عجيب لإدراك دقائق القرآن. وإني رأيته وأنا يقظان لا في المنام، فأعطاني تفسير كتاب الله العلام، وقال: هذا تفسيري، والآن أُولِيْتَ فَهُنّيتَ بما أُوتِيتَ. فبسّطتُ يدي وأخذت التفسير، وشكرت الله المعطي القدير. ووجدتُه ذا خَلْقٍ قويم وخُلقٍ صميم، ومتواضعا منكسرا ومتهلّلاً منوّرا.

وأقول حلفًا إنه لاقاني حُبًّا وأُلْفًا، وأُلقي في روعي أنه يعرفني وعقيدتي، ويعلم ما أخالف الشيعة في مسلكي ومشربي، ولكن ما شمخ بأنفه عُنفًا، وما نأى بجانبه أنفًا، بل وافاني وصافاني كالمحبين المخلصين، وأظهر المحبة كالمصافين الصادقين. وكان معه الحسين بل الحسنين وسيد الرسل خاتم النبيين، وكانت معهم فتاة جميلة صالحة جليلة مباركة مطهّرة معظّمة مُوَقرة باهرة السفور ظاهرة النور، ووجدتها ممتلئة من الحزن ولكن كانت كاتمة، وأُلقي في روعي أنها الزهراء فاطمة. فجاءتني وأنا مضطجع فقعدت ووضعت رأسي على فخذها وتلطفت، ورأيتُ أنها لبعض أحزاني تحزن وتضجر وتتحنن وتقلق كأمّهات عند مصائب البنين. فعُلّمتُ أني نزلتُ منها بمنـــزلة الابن في عُلَق الدين، وخطر في قلبي أن حزنها إشارة إلى ما سأرى ظلما من القوم وأهل الوطن المعادين. ثم جاءني الحسنان، وكانا بيديان المحبة كالإخوان، ووافياني كالمواسين. وكان هذا كشفًا من كشوف اليقظة، وقد مضت عليه بُرْهة من سنين.

ولي مناسبة لطيفة بعليّ والحسين، ولا يعلم سرّها إلا رب المشرقين والمغربين. وإني أحبّ عليا وابناه، وأعادي من عاداه، ومع ذلك لستُ من الجائرين المتعسفين. وما كان لي أن أعرض عما كشف الله عليَّ، وما كنت من المعتدين. وإن لم تقبلوا فلي عملي ولكم عملكم، وسيحكم الله بيننا وبينكم، وهو أحكم الحاكمين.

تحقق نبوءة «وسِّع مكانك»

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد

أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠٠٩/٦/١٢

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

يتعامل الله ﷻ مع مقربيه وأنبيائه على نحو عجيب وغريب، فهم يختفون عن الناس للعكوف على عبادة الله تعالى، لكن الله يأمرهم بالخروج، وأسمى مثال على ذلك هو رسول الله ﷺ، حيث كان ينصرف إلى ذكر ربه في غار حراء منفردا عدة أيام متواصلة، ولم يكن له أي رغبة في أمور الدنيا، مع أنه لم ولن يكون أحد مثله في أداء المسئوليات الدنيوية في بيته وخارجه، لكن كان شغله الشاغل الاستغراق في حب الله تعالى والعكوف على عبادته ﷻ. وحين أمره الله أن يخرج من الغار ويدعو العالم إلى الله الواحد الأحد فإنه قد سجل في ميدان الدعوة إلى الله أروع الأمثلة التي لا نظير لها. وهذا الإنسان الحبيب عند الله تعالى صار محل عتاب القوم نتيجة دعوته إلى الله تعالى، وقد جُعل عرضة لكثير من الفظائع والاعتداءات. كان قلبه عامرا بحب الله والشفقة على خلق الله. كان يبدو كل لحظة في شأن جديد دون أن يكترث لأي عداء واعتداء، وبسبب دعوته ﷺ كانت جماعته تكبر كل يوم بانضمام شخص أو شخصين إلى صفه حتى انتشرت رسالته خارج الجزيرة العربية في حياته. ثم شهد العالم قيام دول إسلامية في آسيا وأفريقيا وأوروبا.

ترجمة: المكتب العربي

ثم تردى المسلمون روحانيًا إلى أقصى حد تحقيقًا لنبوءة النبي ﷺ بحسب مشيئة الله تعالى، وهذا الانحطاط الروحاني أثّر في حكومات المسلمين في بعض البلدان فزال حكمهم فيها. وبما أن الله تعالى قد سبق منه الوعد أن الإسلام هو الدين الوحيد الكامل وأنه لكافة الناس، فكان لا بد أن تتحسن أوضاع الإسلام، وكان هذا التحسن مقدرا على يد المسيح الموعود والإمام المهدي المحب الصادق للنبي ﷺ، وذلك ليتغلب الإسلام على جميع أديان العالم بشأن جديد، ولكي تصل رسالته الحقيقية إلى أرجاء المعمورة التي لم تكن قد وصلتْها من قبل. ولتحقيق مهمة النبي ﷺ هذه ولإكمال نشر دينه الأخير في العالم قد بعث الله تعالى سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام إلى العالم مسيحا موعودا وإماما مهديا ونبيا غيرَ مشرع وذلك ببركة اتّباعه الكامل للنبي ﷺ. وحينما نستعرض أوائل حياته عليه السلام نجد فيها لقطات مماثلة للمراحل الأولى في حياة سيده ومطاعه ﷺ، بل نجد نفس اللقطات حتى في المراحل التالية من حياته. كان عليه السلام زاهدا في الدنيا فما كانت الدنيا همه مطلقًا. لم تكن أمنيته وطموحه أو عمله إلا أن يظل عاكفًا على عبادة الله الأحد، وأن يبقى يصلّي على سيده ومطاعه محمد ﷺ على الدوام نشوانَ بحبه وعشقه. ونتيجةً لعبادته لله تعالى وحبه الشديد للنبي ﷺ كان تردّي حالة المسلمين الدينية والدنيوية يُسبب له قلقًا شديدًا. فكان يتضرع إلى الله ﷻ من أجلهم. ونتيجة حماسه عليه السلام لإرساء وحدانية الله في العالم وحبه الشديد للنبي ﷺ كان يعكف على قراءة القرآن الكريم بتدبّر وإمعان وقراءة كتب الأديان الأخرى ليدافع عن الإسلام من ناحية، ويُثبت أفضلية القرآن الكريم عليها من ناحية أخرى. ليُثبت تفوُّقَ القرآن الكريم عليها وتفوُّقَ الإسلام عليها كلما سنحت له الفرصة. ولا نجد في حياته أي محاولة منه لكسب الصيت ولا أثرًا للرياء، ويشهد على ذلك حتى الأغيار والأحباب. إن الله عالم الغيب والشهادة كان خير خبير بما كان حضرته عليه السلام يكنّه من حب ووفاء لله ولرسوله ﷺ وما كان عنده من مؤاساة للإسلام، حيث أمره أن اخْرُجْ من زاوية الخمول فلا تكتفِ ببيان أفضلية الإسلام على الأديان الأخرى فقط ولا تغيير حالة المسلمين المتدهورة من خلال إصلاح المعارف والأصدقاء فقط، فإن هذه المشكلة أكبر من ذلك ولن تُحَلَّ بالكتابة فقط، بل عليك أن تعلِنْ في العالم كله أن المسيح المنتظر قد ظهر وأخبركم بناء على وحي الله تعالى أنني أنا ذلك المسيح الموعود والإمام المهدي. وبمجرد أن نشر حضرته عليه السلام هذا الإعلان قامت ضده معارضة شديدة دفعتْه إلى التفكير في الهجرة من قاديان، فعرض عليه بعضُ مريديه المخلصين أن يأتي ويسكن عندهم وأكدوا أنهم سيتحملون مسئولية حمايته أيضا، لكن ذلك لم يحدث بفضل الله تعالى. فقد طمأنه الله تعالى في عام ١٨٨٢ حين كان يقوم بتأليف كتابه الشهير "البراهين الأحمدية" دفاعًا عن الإسلام وأخبره أن الأمور ستتحول لصالحك. هناك وحي طويل باللغة العربية سجله حضرته عليه السلام في البراهين الأحمدية، وأقدّم لكم الآن جزءا منه قد ذكره في كتابه الآخر "سراج منير" حيث قال: "هناك نبوءة مسجلة في الصفحة ٢٤٢ من كتاب البراهين الأحمدية وهي: **"إني رافعك إلي، وألقيتُ عليك محبةً مني، وبَشِّرِ الذين آمَنوا أنَّ لهم قَدَمَ صدقٍ عند ربهم، واتلُ عليهم ما أُوحيَ إليك من ربك، ولا تصعِّرْ لخَلْقِ الله ولا تسأَمْ من الناس"** أي سيعاديك الناس ويُبغضونك، ولكنهم

سيُرَدُّون فجأة إلى محبتك، وهو من آيات صدق المهدي الموعود. ثم قال بشِّر الذين يؤمنون بك أنهم حائزون على قدم صدق عند ربهم، وأَسْمِعْهم الوحي الذي أُنزلُه عليك، ولا تُعرض عن خلق الله ولا تَمَلَّ من لقائهم. وبعدها تلقيتُ إلهامًا:

"وَسِّعْ مكانك".

فقد أخبر الله تعالى في هذه النبوءة بجلاء أن الراغبين في لقائك سيزدحمون حتى يصعب عليك لقاءُ الجميع، فلا تُبدِ لهم الملَلَ عندئذ، ولا تَتعبْ من لقائهم.

"سبحان الله! ما أعظمَ هذه النبوءة! فقد تلقيتها في وقت لم يكن يحضر مجلسي إلا رجلان أو ثلاثة على الأغلب أحيانا. أما وحي "وسِّعْ مكانك" وبشارةُ توافُد الناسِ عليه فقد تلقاها حين كان شخصان أو ثلاثة فقط يحضرون مجلسه بين حين وآخر. وإذا استعرضْنا أوضاعه عليه السلام قبل بضعة أعوام من ذلك الوقت لم نجد في حياته شيئا يذكر من الناحية المادية حيث كان والده يتكفل معاشه، وكان ينصحه أن يشتغل في عمل؛ فمن أين سيأكل ويطعم الأهل بعد الزواج إذا لم يعمل؟ لكنه عليه السلام كان

فقد أخبر الله تعالى في هذه النبوءة بجلاء أن الراغبين في لقائك سيزدحمون حتى يصعب عليك لقاءُ الجميع، فلا تُبدِ لهم الملَلَ عندئذ، ولا تَتعبْ من لقائهم.

يجيب والده بمنتهى الأدب: سأشتغل بعمل نزولا عند رغبتك، لكن الواقع أنني قد توظفت عند أحكم الحاكمين، ولا رغبة لي في مشاغل الدنيا. فكان والده عند سماع هذا الجواب يلتزم الصمت، لكنه كان قلقا على مستقبله دومًا. وما أدراه أن الله تعالى قد تحملَ مسئولية تأمين المعاش له بسبب حبه وعشقه له ﷻ ولرسولِه. ولم يقتصر هذا الأمر على تأمين لقمة العيش لزوجته وأولاده فحسب، بل كان سيأتي زمان يرى العالم فيه أن ألوفا مؤلفة من الناس يأكلون على مائدته عليه السلام. عندما حانت وفاة والد حضرته عليه السلام أخبره الله ﷻ بذلك سلفًا، فقلق حضرته بمقتضى الطبيعة البشرية حول تأمين لقمة العيش لأهله حيث كان والده يتكفلهم، لكن ما إنْ تولدت لديه هذه الفكرة حتى أوحى الله تعالى فورا:

"أليس الله بكاف عبده"؟

أي ألن يكون الله كافيا عبده؟ يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام "فور تلقّي هذا الإلهام زالت تلك الفكرة مثلما يزول الظلام بظهور النور"، فصنَع خاتما حفَر عليه هذا الإلهام. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن الله بعد وفاته أي وفاة والده جعلني مشهورا في مئات الألوف بعزة، ففي حياة والدي لم أكن أملك أي حرية في التصرف في إنفاق المال، بينما نصرني الله ﷻ بعد وفاته لدعم هذه الجماعة ولتأمين الطعام لدراويش الجماعة والفقراء والضيوف الباحثين عن الحق الذين يتوافدون إلي من كل جهة بالمئات، كما هيأ لي آلاف الروبيات لأعمال التأليف والنشر، ولا يزال يهيئ لي على الدوام. فتحقيقا لهذا الإلهام "أليس الله بكاف عبده" أثبت أنه كافٍ وأنجز الوعد،

بل بأمره "وسِّعْ مكانك" وفَّر وحقق بنفسه جميع لوازم اتساع المكان من كل النواحي. ونلاحظ تحقُّق هذا الإلهام اليوم أيضا بشأن جديد، ولم يتلقَّ حضرته هذا الإلهام مرة واحدة فقط بل قد تلقاه مرات عديدة، وفي كل مرة تلقى هذا الإلهام ازداد شأن التوسع، وهذا ما قال: إن المراد من نزول هذا الإلهام مرات عديدة أنه سيزداد شأنُ التوسع، لهذا فاسعَوا أنتم أيضا لهذا التوسيع بشكل ظاهري ثم فوِّضوا الأمر إلى الله. وهذا ما كان يفعله إيمانا منه عليه السلام بأن الله صادق الوعد سينجز وعده. فحين تلقَّى حضرته هذا الإلهام قبل إعلانه بأنه هو المسيح الموعود، لم يكن حضرته يملك شيئا من الناحية الدنيوية، لكن بما أن الله تعالى كان قد أمره فرأى الامتثالَ له لزاما عليه، فكيف امتثل له، ففي هذا الصدد قد سجل حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه رواية حضرة ميان عبد الله سنوري رضي الله عنه حيث قال: حين تلقى حضرته عليه السلام إلهام "وسِّعْ مكانك" قال لي حضرته: إننا لا نملك الدراهم لبناء البيوت ويمكن أن نستجيب لهذا الحكم الإلهي بحيث نبني سقيفتين أو ثلاث سقيفات (من الأعشاب والحشيش وغيره من المواد)، فأرسلني حضرته لأداء هذه المهمة إلى صديقه القديم الحكيم محمد شريف في أمرتسر –الذي كان حضرته يقيم عنده أثناء زيارته إلى أمرتسر في أغلب الأحيان – لكي أشتري لوازم السقيفة وأُحضر من ينصبها عن طريقه (فكان هناك خبراء في هذا العمل)، فذهبت إلى أمرتسر وأحضرتُه مع اللوازم، فطلب منه حضرته بناء ثلاث سقيفات في بيته فبقيت هذه السقائف لعدة أعوام ثم انهدمت. يقول حضرة ميان بشير أحمد رضي الله عنه إن المراد من توسيع المكان كثرة الضيوف وتقدُّم قاديان أيضا. وهو صواب.

(سيرة المهدي مجلد أول ص ١٣١ رقم الرواية ١٤١ الطبعة الجديدة ربوة)

هكذا كانت الأوضاع حيث لم يكن يتوفر المبلغ لبناء البيوت، فكان حضرته يقدِر على نصب السقائف فقط. كان حضرته واثقا بأن الله عز وجل حين أمره بتوسيع المكان في الإلهام فسوف يهيئ من لدنه الأسباب أيضا. لكن الامتثال لحكمه تعالى بعد هذا الإلهام أيضا كان ضروريا حسب قدرته، لهذا قد قام بتنفيذ الأمر بما كان يتوفر عنده، لكن بما أن هذا الإلهام تلقاه حضرته مرات عديدة وفي أماكن مختلفة وفي شتى المناسبات، لذا كلما كان يتلقى هذا الإلهام يمتلئ يقينا بأن هذا الإلهام سيتحقق الآن في شأن جديد.

وقد أعرب عن ذلك في إحدى نشراته كالتالي حيث يقول حضرته: قبل مدة تلقيت إلهام "**وسع مكانك، يأتون من كل فج عميق**" فقد رأيت تحقق هذه النبوءة حيث توافد إلي أناس من بيشاور إلى مدراس، لكنني تلقيت بعد ذلك أيضا نفس الإلهام مما يبدو أن تلك النبوءة ستتحقق بكثرة وبقوة أكبر، والله يفعل ما يشاء لا مانع لما أراد. ثم يقول حضرته في ١٩٠٧ في موضع في بيان إلهاماته على لسان الله تعالى كما ورد فيها فقال: "**لكم البشرى في الحياة الدنيا، الخير والنصرة والفتح إن شاء الله تعالى، وضعْنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك، إني معك ذكرتُك فاذكُرْني وسِّع مكانك حان أن تعان وتُرفَع بين الناس إني معك يا إبراهيم إني معك ومع أهلك إنك معي وأهلُك إني أنا الرحمن فانتظرْ قلْ يأخذك الله.**" أي ... أنا رحمن فانتظر نصرتي، وقل لعدوك "إن الله سيؤاخذك".

أي قبل وفاته بمدة قصيرة حين بشَّره الله بنجاحه وتقدُّم جماعته أمره أن "وسعْ مكانك" وإن الله – كما قلت – حين يبشر أحباءه ويأمرهم بشيء فهو يهيئ الوسائل أيضا لإنجازه، ولا نزال نشاهد صدق إلهاماته ومشاهد نزول نصرة الله وتأييده ﷻ له إلى هذا اليوم. فكان يوما حين بنى حضرته السقائف للامتثال لأوامر الله في الظاهر، ثم جاء الوقت حين وسَّع مكانه وزاد عدد البيوت والغرف في بيته في دار المسيح وفي قاديان في حياته، وظل عدد الضيوف الوافدين إلى قاديان يزداد بانتظام وظل يدبر لهم الطعام والسكن وظل هذا النظام يتوسع. ثم في عهد الخليفة الأول والثاني رضي الله عنهما حصل التوسع في البيوت والمساجد، ثم بعد تقسيم الهند رغم أن أوضاع الأحمديين في قاديان ساءت نوعا ما غير أن دار المسيح والأماكن القديمة المتعلقة بحضرته عليه السلام ظلت بحوزة الجماعة. ثم في ١٩٩١ حين قام سيدنا الخليفة الرابع رحمه الله بزيارة قاديان وبعد تلك الزيارة بدأ العهد الجديد لتحقيق "وسع مكانك" حيث حصل توسع هائل في بيوت الأحمديين وبنايات مركزية للجماعة، ثم بعد زيارتي لقاديان في ٢٠٠٥ وفَّق الله ﷻ الجماعة أكثر فاتسعت مساحة بنايات الجماعة حيث بنتْ فروع الجماعة في أستراليا وأمريكا وإندونيسيا وماريشيوس وغيرها من البلاد دور ضيافة كبيرة واسعة هناك بالإضافة إلى البنايات المركزية للجماعة، كما شُيدت بناية الفضائية الإسلامية الأحمدية ومكتب الطباعة والنشر حيث بنيت قاعات ضخمة تُستخدم كمستودعات للكتب، كما بنيت قاعة تحتوي على طابقين للمعرض، وهناك بناية كبيرة لثلاث طوابق للمكتبة المركزية للجماعة، وبُنيت مطبعة فضل عمر، كما بَنت لجنة إماء الله قاعة تخصها، وهناك بيت ضيافة مركزي بثلاث طوابق. وقد حصل توسع كبير في دار الضيافة للمسيح الموعود عليه السلام حيث أضيفت الأجنحة الجديدة، وباختصار قد حصل توسع هائل في البنايات وشيدت بنايات جديدة عديدة، وفوق كل هذا قد وُسِّع المسجد الأقصى حيث بنيت بناية أخرى ذات ثلاث طوابق بمحاذاة باحته، وهذه البناية الجديدة تتسع لخمسة آلاف مصلٍّ، كذلك شيدت في قاديان مساجد أخرى أيضا ولا يسعني الخوض في تفاصيلها كلها، كما لا يمكن – دون رؤية العين – تقدير التوسع الحاصل في قاديان بسبب هذه البنايات الجديدة. إن هذه البنايات القليلة التي ذكرتُها قد بُنيت في غضون ثلاثة أو أربعة أعوام ماضية فقط. فبهذه الطريقة يفي الله تعالى بوعوده بحيث نرى تحقق هذا الوحي بشأن جديد كل يوم، وليس في قاديان فحسب، بل في كل مكان في العالم حتى في باكستان أيضا رغم الظروف المعادية يوفق الله الجماعة لذلك. أما كيف سيؤاخذ الله تعالى معارضينا فهو أعلم بذلك. ولكن فيما يتعلق بوحيه القائل: "وسِّع مكانك"، فيرينا الله تعالى تحققه بشأن جديد في كل يوم. ولا يقتصر الأمر على باكستان أو الهند فحسب، بل إن الصوت الذي انطلق من قاديان – والذي بدا عندها أنه لن يصل حتى إلى بضعة أميال نظرًا إلى الظروف آنئذ– قد انتشر إلى العالم كله بعون الله تعالى كما وعد. ثم لم يصل الصوت فقط إلى أنحاء المعمورة، بل إننا نرى كل يوم مشاهد تحقُّقِ وحي "وسِّع مكانك". إن هذا المسجد – بيت الفتوح – أيضا حلقة من سلسلة تلك المشاهد.

كنا نملك مسجدا صغيرا.. مسجدَ الفضل الذي إذا اجتمع الناس فيه بعدد أكبر قليلا اضطررنا لنصب خيمة للصلاة، أما الآن فيصلي الناس كلهم داخل هذا المسجد بكل سهولة ويسر. كذلك هناك مساجد أخرى كثيرة قيد البناء في بريطانيا، فكل هذه ليست إلا مظاهر تحقق الوحي: "وسِّعْ مكانك".

ففي هذه الأيام أيضا ينصر الله تعالى بفضله ورحمته الخادم الصادق للنبي ﷺ ويرينا في كل مكان تحقق الوحي: "وسِّع مكانك". يقول المسيح الموعود عليه السلام عن هذه النبوءة "يحققها سبحانه وتعالى بقوة وبكثرة أكبر"، ثم يقول حينما يترل الله عليّ الوحيَ نفسه بتكرار يحقّقه بقوة وكثرة أكبر من ذي قبل.

لقد بلغ عدد مساجد الجماعة ومراكزها في العالم ١٤٧١٥، ولا زال هذا العدد في ازدياد مستمر بفضل الله تعالى. حينما ننظر إلى مساعينا وجهودنا نجد هذا الازدياد أمرا مستحيلا، ولكن بما أن الله تعالى قد أمر بتوسيع المكان فهو الذي يهيئ الأسباب لتحقيقه باستمرار. وفيما يتعلق بالظروف التي أُنشئت فيها بعض المساجد والبنايات الأخرى للجماعة فأقدم لكم بعض الأحداث بهذا الشأن بَدْءًا بالهند.

ففي هذه الأيام أيضا ينصر الله تعالى بفضله ورحمته الخادم الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم ويرينا في كل مكان تحقق الوحي: "وسِّع مكانك".

في الهند في محافظة "كانغره" مدينة اسمها "غجّن"، وقد أُسِّس فيها فرعُ الجماعة مؤخرا. وعندما أراد المسلمون الأحمديون بناء المسجد فيها عارضهم المسلمون الآخرون معارضة مريرة، وقالوا لن نسمح لكم ببناء مسجد هنا، ثم انضم إليهم الهندوس أيضا يعارضون الأحمدية. كان موظف الشرطة في هذه المنطقة هندوسيا شريفًا، فقال للأحمديين: لا تعملوا لتشييد المسجد نهارا بل اعملوا ليلا، وسأرسل رجال الشرطة لمساعدتكم، فأْتوا برجالكم فابنوا المسجد ليلاً. وهكذا عمل أفراد الجماعة في الليالي وبنوا المسجد. في البداية بنوا غرفة على غرار قاعة، ثم بنَوا منارات المسجد في ليلة واحدة. فهكذا قدّر الله أن يبنى هذا المسجد بمساعدة شخص غير مسلم، وهكذا باءت محاولات هؤلاء المسلمين المعارضين لعرقلة بناء المسجد بالفشل. فالله تعالى يُري مشاهد تأييده بهذا الشكل أيضا.

كذلك بنتِ الجماعة مسجدا في محافظة "فتح آباد" في ولاية "هريانه". وفي هذه المدينة أيضا أُسس فرع الجماعة حديثا، وحين بدأت الجماعة ببناء مسجدها قام المسلمون الآخرون بمعارضتهم بشدة وتحالَف معهم الهندوس أيضا. فعقد مجلس خدام الأحمدية جلستهم في هذه المدينة، وأقاموا مخيما للتبرع بالدم، الأمر الذي ترك في الهندوس تأثيرا طيبا جدا، فتراجعوا عن المعارضة وقاموا لتأييد المسلمين الأحمديين، ولكن لم يتراجع "المسلمون" الآخرون عن معارضة بناء هذا المسجد. عندها قام الهندوس ضدهم

وساعدونا في بناء المسجد معارضين المسلمين غير الأحمديين وهكذا بُني المسجد والمركز أيضا بفضل الله تعالى.

وفي مدينة شنائي بُني في هذه السنة "مسجد الهادي" ذو طابقَين ومكانٌ للسكن أيضا بنفقات تقدَّر بخمسة ملايين روبية. وكنتُ قد زرت هذه المدينة وافتتحتُ هذا المسجد خلال جولتي الأخيرة، وقد أقض هذا مضاجع المشايخ فازدادوا معارضةً للجماعة. وقد ذكرتُ في الخطبة الماضية أن المعارضين في هذه المدنية نبشوا قبر سيدة أحمدية، وكنت قد صليت عليها صلاة الغائب، وكان سببه أيضا عائدا إلى هذه المعارضة، لأن المشايخ يخافون غلبة الأحمديين في تلك المنطقة. ورغم معارضتهم قد فتح الله تعالى آفاقا جديدة لانتشار دعوتنا حيث إن نبشهم لقبرها جعل عددا كبيرا من شرفاء عامة المسلمين يؤيدون المسلمين الأحمديين. كما استدعت قناة التلفزة المحلية ممثلين من المسلمين الأحمديين وغير الأحمديين وأجروا مقابلة أخذت شكل مناظرة واستغرقت قرابة ساعة ونصف. وقد سُجّلت هذه المقابلة وستُبثّ في تلك القناة قريبًا كما قال المسؤولون. وهكذا سوف تُفتح آفاق جديدة لنشر دعوتنا. إذًا فالله تعالى يفتح لنا من خلال المعارضة أيضا طرقا جديدة.

ثم هناك حادث وقع في دولة بِنِين حيث يقول أمير الجماعة هناك كنا قد بدأنا بناء مسجد في قرية، فقام المشايخ المحليون بزيارات متكررة لهذه القرية مجتمعين – وقد نشط هؤلاء بعد جولتي الأخيرة خاصة، علمًا أنه حيثما ذهبتُ في الهند هذه السنة اشتدت المعارضة هناك أيضًا إلى حد كبير، مما فتح سبلاً جديدة لنشر دعوتنا – يتابع أمير الجماعة في بَنِين ويقول: وهدد هؤلاء المشايخُ المبايعين الجدد وطلبوا منهم الارتداد عن الأحمدية. وطلبوا من رئيس الجماعة هناك أن يهجر الجماعة وألا يسمح ببناء مسجد للجماعة، وعرضوا عليه أن يأخذ منهم ما شاء من المبالغ ووعدوه أنهم سيبنون له مسجدا جديدا أيضا. ولكن هذا المبايع الجديد الأحمدي المخلص رفض عرضهم كل مرة، وقال لهم: افعلوا ما يحلو لكم غير أننا سوف نشيّد مسجدًا للجماعة الإسلامية الأحمدية حتمًا في كل الأحوال، وستنتشر دعوة الإسلام في هذه المنطقة بواسطة الأحمدية فحسب. وهكذا قد بُني هذا المسجد رغم المعارضة الشديدة.

ثم انظروا كيف يوجّه الله تعالى الآخرين إلى الجماعة من خلال تحقيق وحيه للمسيح الموعود عليه السلام: "وَسِّعْ مكانَك". يقول داعيتنا في نيجيريا:

إن أستاذا في جامعة AGOI WOYE شاهد فعاليات افتتاح المسجد المبارك في فرنسا عبر فضائيتنا. وقال عند زيارته لمعرضنا للكتب: "إذا كان اسم الله تعالى يُرفع بهذه الطريقة في أراضي بريطانيا وفرنسا فلا يُستبعَد أن يُرفع اسم الله يوما في أورشليم وأمريكا آلاف المرات بواسطة الأحمدية، لأن الله مع هذه الجماعة.

ثم هناك حادث من ساحل العاج، يقول أمير الجماعة في ساحل العاج:

بعد أن بنينا مسجدًا في مدينة "آبنغرو" قد توجّه الناس إلى الجماعة بشكل خاص. فقبل أسبوع تقريبا قام السيد "وِترا أبو بكر" – وهو أستاذ في كلية – بزيارة مركزنا وأخذ بعض الكتب. ثم عاد بعد قراءتها وقال: قبل قراءة هذه الكتب

كنت قد استخرت الله فترة طويلة ودعوته قائلا: ربِّ هناك فِرق كثيرة في الإسلام، فاهدني إلى الصراط المستقيم. فأُرشِدتُ في المنام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية حيث قيل لي في الرؤيا: ابحثْ في أمر هذه الجماعة. فبحثتُ عن أمركم وأعمالكم، وقرأتُ كتبكم فهداني الله تعالى إليكم. فبايعَ قبل يومَين وانضم إلى الجماعة.

لم أضرب لكم من هذه الأمثلة المتعلقة بهذا الوحي للمسيح الموعود عليه السلام إلا نزرًا يسيرًا جدًا إذ هناك أمثلة أخرى كثيرة في هذا الباب. إنَّ صدْقَ وحي المسيح الموعود عليه السلام "وسِّع مكانك" ظاهر بيِّن في العالم كله حيث خرجت الأحمدية من حدود قاديان وانتشرت في أنحاء المعمورة كلها. كلَّما وسَّع الله تعالى نطاق التبليغ اتَّسعت الأماكن فازدادت بنايات الجماعة أيضا. كما أن قناتنا الفضائية قد فتحت آفاقا جديدة لنشر الدعوة، ولكن مع اتساع دائرة التبليغ والدعوة تتفاقم المعارضة أيضا.

ومن أساليب الله تعالى في تحقيق وعوده أنه حيثما أُلحقت بالجماعة خسائر في الأرواح والأموال أو

وعلينا أن نسعى جاهدين لنكون من أهل المسيح الموعود متبعين سيرته وأسوته التي قدمها لنا، وإلا فلم يعتبر الله تعالى ابن نوح عليه السلام من أهله رغم وجود قرابة دموية بينهما. ندعو الله تعالى أن يجعلنا خاضعين له دائما، آمين.

حيثما تمت المحاولات لذلك أغدق الله تعالى على أفراد الجماعة نعمه أكثر من ذي قبل، وفتح سبلا جديدة لتقدم الجماعة باستمرار. فمثلا إذا أُحرقَ بيتُ أحمدي أعطاه الله بيتًا أفضل وأوسعَ من بيته المحروق، وإذا أُحرِق محل أحدهم وهبه الله تعالى محلا أفضل أو محلَّين، وإذا حاول المعارضون تدمير تجارة أحمدي وهب الله له تجارة أفضل وأوسع جزاء على صبره واستقامته. وإذا أُغلق مسجد واحد في باكستان أعطانا الله عشرة أو عشرين مسجدا خارج باكستان. هذه هي معاملة الله التي نراها في كل مكان. ولكن إلى جانب ذلك تقع علينا مسؤولية أيضا لأن نظل منيبين إلى الله تعالى ونكون عبادا حقيقيين له لكي يُسبغ علينا نِعمه باستمرار.

لقد قال الله تعالى في وحيه إلى المسيح الموعود عليه السلام:

"إنك معي وأهلُك"،

وعلينا أن نسعى جاهدين لنكون من أهل المسيح الموعود متبعين سيرته وأسوته التي قدمها لنا، وإلا فلم يعتبر الله تعالى ابن نوح عليه السلام من أهله رغم وجود قرابة دموية بينهما. ندعو الله تعالى أن يجعلنا خاضعين له دائما، آمين.

اليوم تبدأ الجلسة السنوية لجماعتنا في الكبابير والتي يشترك فيها إخوة من فلسطين وبلاد أخرى أيضا. لقد أبدى أمير الجماعة في الكبابير رغبته في أن أذكر جماعتهم في الخطبة بهذه المناسبة وأوجّه إليهم رسالة وجيزة. فسأتناول ذكرهم وسأوجه لهم رسالة وجيزة.

كنت أتحدث عن وحي المسيح الموعود عليه السلام: "وسِّع مكانك"، وفي هذا الصدد أود أن أذكر جماعة الكبابير، وأقول بأن الله تعالى قد وفق هذه الجماعة في بداية عهدها لبناء مسجد جميل جدا. إنه لمسجد قديم ويقع في منطقة جميلة يجذب إليه الزوار والسياح. لقد وجدته في غاية الروعة والجمال من خلال الصور التي رأيتها، وهو ما أكد عليه الإخوة الذين زاروه. وبواسطته يفتح الله تعالى سبلا جديدة لنشر دعوتنا.

في عام يوبيل الخلافة أظهرت جماعة الكبابير رغبتها في بناء قاعة واسعة وبنايات أخرى – تمس الحاجة إليها – في قطعة أرضية فارغة حول المسجد، فأذنتُ لهم بذلك. ولكن مشروع البناء الذي قدموه في هذا الصدد كان واسعا وكبيرا جدا وكان يبدو في الظاهر أنه يفوق إمكانياتهم إلى حد كبير. ولكن الله تعالى حقق وعده بهذه المناسبة أيضا، وأخبرني أمير الجماعة أن المشروع قد وصل بصورة إعجازية إلى المراحل الأخيرة لاكتماله.

تذكروا جيدا أن كل نعمة جديدة من الله تعالى يجب أن تملأ قلب كل أحمدي بعواطف شكره ﷻ وتجعله خاضعا على عتبات الله تعالى. لقد وسّع الله تعالى بواسطة mta العربية نطاقَ تبليغنا في البلاد العربية إلى حد كبير، ولأفراد الجماعة في الكبابير دور بارز وهام جدا فيه؛ إذ إن الشباب منهم يقومون دائما بالمساعدة على عدة أصعدة وبمختلف الطرق والأساليب، كما أن الإخوة من بلاد عربية أخرى أيضا يلعبون دورا مهمًّا في هذا الخصوص، فجزاهم الله جميعا.

ولكن يجب أن تتذكروا دائما أن نجاحاتكم الباهرة هذه ليست نتيجة مساعيكم أو قدراتكم الشخصية، وإنما تأتي بسبب فضل الله تعالى ووعوده ﷻ مع المسيح الموعود عليه السلام، وثمرة لأدعية سيدنا رسول الله ﷺ في حق إمام آخر الزمان وتحقيقا لنبوءاته ﷺ في حقه. لذا فإنّ على جميع الأحمديين الذين وفّقهم الله تعالى لقبول إمام هذا العصر والإخوة العرب الذين لم يجعلوا عروبتهم مدعاة للتفاخر والاستكبار، بل أبدَوا نموذج "سمعنا وأطعنا" عند سماعهم نداء إمام الزمان، على جميع هؤلاء أن يتذكروا أن عليهم أن يزدادوا تقدما في الإيمان مع كل يوم جديد. يقول المسيح الموعود عليه السلام ما مفاده: إذا كنتم لا تتقدمون في الإيمان كل يوم فعليكم أن تفكروا في ذلك وأن تحاسبوا أنفسكم. ومن أجل إحراز هذا التقدم عليكم أن تجعلوا قول المسيح الموعود عليه السلام نصب أعينكم دائما وأن تكونوا ممن يقضون نهارهم خائفين ولياليهم متمسكين بأهداب التقوى. إن التقدم في التقوى هو الهدف الأساس من وراء هذه الجلسات. فعليكم أن تقضوا أيام الجلسة واضعين تحقيق هذا الهدف نصب أعينكم ثم تعودوا إلى بيوتكم قاطعين على أنفسكم عهدا أننا سنُحدث حتما في أنفسنا تغييرات حسنة وسنجعلها جزءا من حياتنا لا يتجزأ ولسوف نتقدم في التقوى.

تذكروا دائما أن تقدمنا منوط بالدعاء وبنصرة الله تعالى إلى جانب نشر الدعوة. لذا عليكم أن تداوموا على الأدعية. فلو ركّزتم عليها وخررتم على عتبات الله مخلصين له الدينَ لأحدثت أدعيتكم ضجة وثورة في السماء، الأمر الذي سيجمع كل معاند للإسلام والمسلمين عند قدمَي محمد رسول الله ﷺ.

تذكروا دائما أن زمن المسيح

والمهدي عليه السلام ليس زمن السيوف والسهام بل هو زمن إحداث الثورة بالدعاء. وهذا ما يتبين من قول النبي ﷺ في حق المسيح الموعود حيث قال: "يضع الحرب". لقد وهب الله تعالى للعرب قدرة خارقة للتبليغ والخطاب، فلو استخدمتموها مزيِّنين إياهما بأدعيتكم وأسوتكم الحسنة لرأيتم نزول أمطار أفضال الله ورحمته الواسعة عليكم، ولرأيتم الأحمدية أي الإسلام الحقيقي تنمو وتزدهر في عالم العرب. فمن واجبنا اليوم أن نسبب للمسيحيين نجاة حقيقية ونحاول إرشاد اليهود أيضا إلى طريق صحيح انطلاقا من تعليمهم وتاريخهم، ونسعى لخيرهم محاولين جمعهم عند قدمَي النبي ﷺ. ونهدي أصحاب الأديان الأخرى أيضا إلى سبل مرضاة الله تعالى، ونحاول أن ننقذ غير المؤمنين بالله تعالى من بطشه ﷻ. هذه مهمة عظيمة جدا وُكِّلت إلى المؤمنين بالمسيح المحمدي عليه السلام.

فيا أيها الأحمديون القاطنون في الكبابير وفلسطين أنتم الجماعة الأكثر تنظيما وتنسيقا في العالم العربي في الوقت الحالي، فهبّوا وكونوا أنصارا لإمام هذا العصر وشُدُّوا مِئزركم لإيصال دعوته إلى كافة أنحاء العالم رافعين شعار: ﴿نحن أنصار الله﴾. إن نجاة المسلمين تكمن اليوم في إيمانهم بإمام الزمان. فلو أدرك اليومَ المسلمون الأحمديون العربُ مسؤوليتهم فاعلموا أنه كما لعب المسلمون من القرون الأولى دورا بارزا في نشر دعوة الإسلام، كذلك يمكنكم أن تُعَدُّوا اليومَ من الآخرين الذين أُلحِقوا بالأولين بأداء دوركم في هذا العصر في سبيل نشر دعوة المحب الصادق والخادم المخلص للنبي ﷺ. ندعو الله تعالى أن يوفقكم وإياي لإدراك هذه المسؤولية. جعل الله جميع المشتركين في الجلسة ورثة لكافة أدعية المسيح الموعود عليه السلام. وتكون هذه الجلسة مجلبة لبركات لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ونرى راية سيدنا محمد رسول الله تعالى ترفرف في العالم كله قريبا، آمين.

أخطاء شائعة

الخطأ: ينبغي عليك فعل كذا. الصواب: ينبغي لك فعل كذا، لأن هذا الفعل يتعدى باللام لا بـــ على.

الخطأ: تردد على المكتبة. الصواب: تردد إلى المكتبة، لأن فعل تردد يتعدى بـــ إلى.

الخطأ: نواياه حسنة. الصواب: نياته حسنة. تجمع "النية" على "النيات" كما في الحديث "إنما الأعمال بالنيات".

أنا متلهِّف لرؤيتك. الصواب: أنا مشتاق لرؤيتك، لأن التلهف هو الحزن والتحسر لا الشوق والحنين.

وَوَاللّٰهِ هٰذَا كُلُّهُ مِنْ مُحَمَّدٍ

وأنتَ إلهي مأمني ومفازتي ... وما لي سواك معاونٌ يدفع العِدا

ولك آياتٌ في عبادٍ حمدتهمْ ... ولا سيَّما عبدٍ تُسمِّيه أَحْمَدَا

لهُ في عبادةِ ربِّهِ غَلْيُ مِرْجَلٍ ... وفاقَ قلوبَ العالمينَ تعبُّدَا

وكانَ الحجازُ وما سواهُ كميِّتٍ ... شفيعُ الورَى أَحيَا وأَدْنَى المُبعَّدَا

فلَمْ يَبْقَ منهُمْ كافرٌ إلا الَّذي ... أَصَرَّ بشقْوَتِه عَلَى مَا تَعَوَّدَا

وأَتَى بصُحفِ اللهِ لاَ شَكَّ أَنَّهَا ... كتابٌ كريمٌ يَرْفِدُ المُسْتَرْفِدَا

فَمَنْ جَاءهُ ذلًّا لتَعْظِيمِ شَأْنِه ... فَيُعْطَى لَهُ في حَضْرَةِ القُدْسِ سُؤْدَدَا

فَيَا طَالبَ العِرْفَانِ خُذْ ذَيْلَ شَرْعِه ... وَدَعْ كُلَّ مَتْبوعٍ بِهَذَا المُقْتَدَى

يُزَكِّي قُلُوبَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ ... وَمَنْ جَاءَه صِدْقًا فَنَوَّرَه الهُدَى

تَرَاءَى جَمَالُ الحَقِّ كَالشَّمْسِ في الضُّحَى ... ولاَحَ عَلَيْنَا وَجْهُهُ الطَّلْقُ سَرْمَدَا

وَقَد اصْطَفَيْتُ بِمُهْجَتِي ذِكْرَ حَمْدِهِ ... وَكَافٍ لَنَا هَذَا المَتَاعُ تَزَوُّدَا

وَفَوَّضَنِي ربِّي إِلَى فَيْضِ نُورِه ... فَأَصْبَحْتُ مِنْ فَيَضَانِ أَحْمَدَ أَحْمَدَا

وَهَذَا مِنَ اللهِ الكَرِيمِ المُحْسِنِ ... وَمَا كَانَ مِنْ أَلْطَافِهِ مُسْتَبْعَدَا

وَوَاللهِ هَذَا كُلُّهُ مِنْ مُحَمَّدٍ ... وَيَعْلَمُ رَبِّي أَنَّه كَانَ مُرْشِدَا

(الخزائن الروحانية، ج ٧- كتاب كرامات الصادقين ص ٨٩- ٩٠)

حِكَمٌ ونوادرُ

إعداد: مصطفى المزكلدي

(المملكة المغربية)

* الزم الصمتَ تعُد في نفسكَ فاضلاً، وفي جهلك عاقلا، وإياك وفضول الكلام فإنها تُظهرُ من عيوبك ما بطن وتُحركُ من عدوّك ما سكن.

* ثلاثة أشياء من عقد التوحيد، الخوف والرجاء والمحبة. فزيادة الخوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعيد. وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد. وزيادة المحبة من كثرة الذِكر لرؤية المنّة. فالخائف لا يستريح من الهرب، والرّاجي لا يستريحُ من الطلب، والمُحب لا يستريح من ذكر المحبوب، فالخوف نارٌ مُنوّرة، والرّجاء نورٌ منوّرُ، والمحبة نورُ الأنوار.

* القناعة كنـــز لا يفنى.

من طرائف العرب:

قال الحجاج لأعرابي كان يأكل بسرعة على مائدته: ارفق بنفسك..

فقال له الأعرابي: وأنت.. اخفض من بصرك.

أبيـــات لها معـــان:

الطُّـــرُق شـــتّـــى وطـــرق الحقّ مفردة ... والســـالكون طريق الحـــقّ أفـــرادُ

لا يُـــعرَفُون ولا تُـــدرى مقاصدهـــم ... فهـــم علـــى مَـــهـــل يمشون قُصّـــادُ

الذكرى السنوية العاشرة لهدايتي

كتبه الأستاذ هاني طاهر

في ٢٢-٩-٢٠٠٨

في مثل ضحى هذا اليوم من عام ١٩٩٨ قلتُ في نفسي: أشهد الآن أن حضرة ميرزا غلام أحمد صادقٌ وأنه هو المهدي. كان ذلك حين كنتُ أقرأ في تفسير المنار لرشيد رضا العبارة التالية: "ففراره إلى الهند وموته في ذلك البلد ليس ببعيد عقلا ولا نقلا". (المجلد ٦، ص ٣٦)

فبعد أن قال بوفاة المسيح وعدم صعوده إلى السماء وجد هذا المفسر نفسه أمام شبهة بدت عويصة، وهي: "إذا كان المسيح قد نجا من أعدائه بعناية إلهية خاصة، فأين ذهب؟ ولماذا لم يقْفُ له أحدٌ على عين أو أثر؟" و لم يجد رضا بدًّا من تلميحه إلى إيمانه بإغماء المسيح على الصليب، وإن كان ذلك من خلال نقل أقوال آخرين.

ولكن هذا لا يجيب على سؤال: "أين ذهب بعد ذلك؟" فما كان من المفسّر إلا أن أفرد عنوانا خاصا بالمسألة، وهو: "القول بهجرة المسيح إلى الهند، وموته في بلدة سِري نَكر في كشمير".. وتحت هذا العنوان ذكر قول ميرزا غلام أحمد في تحديد قبر عيسى عليه السلام، ثم ذكر تفسيره للآية ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. وكان واضحا أنه يؤمن بما ينقل؛ ليس لدقته وإسهابه في نقْل ذلك فحسب، بل لنقْله الأدلة القرآنية على هذا التفسير، ولعدم نقْله رأيا آخر. ثم تعليقه الشهير "ففراره إلى الهند وموته في ذلك البلد ليس ببعيد عقلا ولا نقلا". وكان واضحا أن رشيد رضا يتبنى قول ميرزا غلام أحمد في مسألة من أخطر المسائل.. وكان واضحا أنه لم يستطع الردّ على شبهة النصارى إلا باللجوء إليه.

فإذا كان المسيح عيسى عليه السلام قد مات، وإذا كان قبره في كشمير، وإذا كان ميرزا غلام أحمد هو من قال بذلك، وإذا كان كبير مفسري العرب في القرن العشرين قد عجز عن الردّ على أخطر شبهة إلا باللجوء إليه، وإذا كان الرسول ﷺ قد بشر بنـــزول المسيح، و لم يوفّق بين هذه المسائل غير ميرزا غلام أحمد، فلا بدّ أن يكون كلّ ما قاله صحيحا، وبالتالي فهو صادق في ما أعلنه، لأنه لم يَعُد هناك احتمال آخر في

المسألة.

في تلك اللحظة المزدحمة بهذه الخواطر آمنت بالمسيح الموعود عليه السلام. لم تكن هذه اللحظة من دون مقدمات، ولكنها كانت لحظة تتويج لبحثٍ مفصّل في كتب الجماعة الإسلامية الأحمدية.

عندما قررتُ أن أبحث في مسألة الإمام المهدي والمسيح الموعود وما تؤمن به الجماعة الأحمدية كان يبدو كل شيء جديدا وغريبا. ولكن الجدّة والغرابة لم تكن عائقا في طريقي يومًا بفضل الله؛ فالمهم هو الحقّ والدليل والمنطق والعقل وما يأمرنا به الله سبحانه. ومع ذلك ففي الأمر صعوبة، فكيف ينـــزل المسيح ولم يخرج الدجال بعد؟ وأين يأجوج ومأجوج؟ وو... ولكن ما أسرع أن تجد أن الدجال عندهم شيء آخر، وقد خرج! وسرعان ما يتبين لك أن التفسير المتداول ليأجوج ومأجوج هو إلى الخرافة أقرب، وأن الأحمديين قد أحكموه إحكاما. كما كان التساؤل الأول: كيف يكون ميرزا غلام أحمد نبيًّا ونبيُّنا ﷺ خاتم النبيين؟ ولكنك تجد تفسيرا يرفع من شأنه ﷺ وينسجم مع السياق ويثبت تناقض التفسير المتداول الذي يقول برجوع نبي من السماء مع تفسيره الخاتم بالآخر في الآية. ومع ذلك فقد بقي الكثير في الذهن ليُطرح مع الزمن. وظَلَلْنا نفاجَأُ بالجديد، ولكن بأدلته السلسة.. فالمرتد لا يقتل، والقرآن لا نسخ فيه، والجهاد دفاعي، والهدهد اسم رجل وليس العصفور المعروف، وغير ذلك كثير. كان الحسم في هذه المواضيع كلها لا يبدو سهلا، خصوصا مع العناد وسوء الظنّ، فقد ظلّ في ذهننا لفترة: لعلّ هناك أشياء أخرى خاطئة، فلننتظر حتى نعرف كلّ شيء ونقرأ كل الكتب!! فقد كان الإيمان صعبًا، ولكن تبيّن أنه لذيذ.. ورغم أن السخرية كانت تنتظرنا، لكنا كنا واثقين من سموّ هذا الفكر وانتصاره على فكر القسوة والخرافة.

وإذا كانت عبارة رشيد رضا هي الشعرة التي قصمت ظهر بعير عدم إيماني بالمسيح الموعود عليه السلام، فإن عبارة المودودي التالية هي التي وضعت الإسفين الأول فيه.. فَتَحْتَ عنوان: "الأسباب الأساسية الثلاثة للنـــزاع" بيّن المودودي أهمية معاداة الأحمدية، فكان سببه الأول عنده هو: "نشاط أتباع هذه النحلة الجديدة، وتحمسهم للدعوة إلى فكرهم، ومثابرتهم على المجادلة والمناظرة، مما جعل كل رجل منهم يُحْدِث صراعا عنيفا في بيئته ووسطه الذي يعيش فيه". (ما هي القاديانية، ص ١٠٧).

كانت هذه عبارة أكبر خصوم الأحمدية؛ والخير ما شهدت به الخصوم.. فتساءلتُ: هل يمكن لعملاء أو أتباع عميل أن يكونوا نشطاء حمسين مثابرين على المناظرة، ويُحدث كلٌّ منهم صراعا فكريا في محيطه؟ كلا ثم كلا، لا بدّ من البحث والتدقيق، فالمسألة ليست كما يلخصونها لنا بكلمة.

وبدأ البحث في جماعة كنتُ أرى أن كل ما فيها باطل، ويوما فيوما صارت هذه الصورة تضعف على حساب توسع مساحة بطلان الفكر المقابل.. حتى جاء كبير المفسرين وخصم ميرزا غلام أحمد فشهد له بأخطر مسألة وأدقّها والتي وحدَها تثبت أنه عليه السلام هو المسيح الموعود، وأنه لا عودة لعيسى عليه السلام.

فسبحان الله الذي جعل بداية هدايتي على يد كبير الخصوم في الهند، وتوّجها على يد كبير الخصوم العرب. والحمد لله الذي جعل هذه الذكرى العطرة تمرّ في سنة اليوبيل وفي العشر الأواخر من

العنف ضد الأطفال

د. إيهاب حمود

تعريف العنف

إن العنف مشكلة معقدة ومنتشرة بشكل واسع، وتعريفه ليس أمرًا علميًا محضًا بقدر ما هو اجتهادي. فعرفه البعض بأنه الاستخدام غير الشرعي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين. ويعرفه عدد من علماء السلوك بأنه نمط من أنماط السلوك الذي ينبع عن حالة إحباط مصحوب بعلامات التوتر ويتضمن نية سيئة لإلحاق أذىً مادي أومعنوي بكائن حي أو ما ينوب عنه.

العنف ظاهرة عالمية

يهدد العنف حياة الكثير من الناس في العالم، كما يؤثر فينا جميعًا بصورة أو بأخرى. لا يوجد بلد ولا مجتمع لم يتأثر بالعنف، وإن صور العنف وقصصه قد عمت مختلف الأوساط، لقد أصبح العنف بلاء عالميا يمزق المجتمعات ويهدد حياتنا وصحتنا وسعادتنا جميعاً. وبسبب انتشاره الواسع، كثيراً ما ينظر للعنف أنه جزء لا يتجزأ من الحالة الإنسانية أو أنه حقيقة حياتية يمكن مواجهتها ولا يمكن توقّيها.

لقد انقضى القرن العشرون مخلفًا وراءه موروثاً هائلاً من الدمار والخراب لم تشهده البشرية من قبل، فقد قضى نحو ٦٠ إلى ٧٠ مليون تقريباً حياتهم في الحرب العالمية الثانية وأكثر من نصفهم من المدنيين، وهناك موروث آخر أقل وضوحا ولكنه الأكثر انتشارًا إنه موروث المعاناة الفردية التي تزداد يوماً بعد يوم. إنها آلام الأطفال الذين يعتدى عليهم من قبل من يجب عليه حمايتهم، والنسوة اللاتي يؤذَيْـــن بعنف أزواجهن أو قرنائهن. والشيوخ الذين يُعَقُّون من قبل أولادهم...

يقول نيلسون مانديـــلا: "إن هذه المعاناة موروث يجدد نفسه، حيث تتعلم الأجيال اللاحقة من عنف الأجيال السابقة، وحيث تتعلم الضحايا من الجناة... نحن نريد لأطفالنا – وهم الأكثر تأثرا بالعنف في أي

مجتمع – حياة خالية من العنف والخوف. ولتحقيق ذلك يجب علينا أن نحدد جذور العنف ونتصدى لها، عندئذ فقط يمكننا أن نحول عبء القرن الماضي من ميراث مدمر إلى درس فيه عبرة وعظة"

لكن لا يبدو أن البشرية قد أخذت ما يكفي من العبر من أخطاء القرن الماضي، فقد أظهر تقرير لمنظمة الصحة العالمية عام ٢٠٠٢ أن عدد الذين فقدوا حياتهم بسبب العنف في عام ٢٠٠٠ وحده تجاوز ستة ملايين نسمة. ثلثهم بالقتل وخمسهم بالأعمال العسكرية الحربية، هذا فضلاً عن الأذيات والخراب الواسع الذي يصعب تقديره.

أشكال العنف

يقسم العنف بحسب تقرير لمنظمة الصحة العالمية إلى ثلاث فئات واسعة بحسب من يقوم به: العنف الموجه للذات والعنف بين الأشخاص والعنف الجماعي. ويقسم كل من هذه الأصناف الثلاثة الواسعة إلى زمر أصغر، فالعنف الموجه للذات يتضمن السلوك الانتحاري وإيذاء الذات كالتشويه والبتر. والعنف بين الأشخاص يقسم إلى مجموعتين:

العنف العائلي وعنف القرناء الحميمين، ويحدث في البيت عادة. ومن أمثلته الاعتداء على الأطفال.

والعنف المجتمعي: ويحدث خارج المنزل عمومًا. مثل عنف العصابات والاغتصاب الجنسي وغيرها من أشكال العنف ضمن المؤسسات كالمدارس ومواطن العمل والسجون ...

أما العنف الجماعي فهو الذي يقوم به أناس ينتمون لزمرة معينة ضد زمرة أخرى لتحقيق أغراض سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية: كالأعمال العسكرية والقتل الجماعي والإرهاب والعنف المنظم..

وسنركز في هذه المقالة على الاعتداء على الأطفال:

ما هو الاعتداء على الطفل

يعرف الاعتداء على الطفل بأنه أي فعل، أو امتناع عن فعل، يعرض حياة الطفل وأمنه وسلامته وصحته الجسدية والجنسية والعقلية والنفسية للخطر – كالقتل، والشروع في القتل، والإيذاء، والإهمال وكافة الاعتداءات الجنسية.

والطفل، حسب تعريف الأمم المتحدة، هو كل إنسان دون الثامنة عشرة من عمره، ما لم ينص قانون دولة ما على اعتباره ناضجاً قبل بلوغ هذا السن.

خلفية تاريخية

لقد مورس الاعتداء على الأطفال منذ أزمنة سحيقة، إلا أنه لم يحصل على تسمية معترف بها رسمياً إلا مؤخرًا. ومن أمثلة ذلك صدور قانون فرنسي في القرن السابع عشر يسمح للأب بقتل أولاده مما يدل على أن الطفل لم يكن موضوعاً ذا أهمية خاصة. إن إباحة القتل كانت تتعلق بالأطفال الشاذين أو المعاقين أو كثيري الصراخ، كما كانت ظاهرة بيع الأطفال للأغنياء مقابل الحصول على ثمنهم منتشرة، وكذلك ظاهرة استغلال الأطفال في العمل. كما كانت عادة وأد البنات ممارسة في جزيرة العرب قبل الإسلام.

لقد أحدث الإسلام ثورة عظيمة في القيم الأخلاقية والعلاقات الأسرية والاجتماعية، إلا أن محاولة التغيير في وضع الأطفال

في العصور المتأخرة تعود إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. فقد سنت الحكومة البريطانية عام ١٨٧٢ قانوناً بهذا الشأن، ويظهر أوضح إنجاز عام ١٨٩٩ عندما استطاع الاتحاد النسوي لسيدات ولاية الينوي الأمريكية الحصول على موافقة الحكومة المحلية في إنشاء محكمة خاصة بالأحداث. وفي عام ١٩٦٤ بدأ طبيب أمريكي مختص بالأشعة يدعى "كافيه" بالتحدث عن الإساءة الجسدية للأطفال من خلال وصف حالات من نزيف دماغي وكسور عظام كان يقوم بتصويرها أثناء عمله.

ويعتبر سنُّ القوانين الخاصة بذلك تحققاً لنبوءة قرآنية تتعلق بالزمن الأخير كما يقول المصلح الموعود رضي الله عنه في تفسير آية ﴿وإذا الموءودة سئلـــت...﴾ "وككل النبوءات الأخرى الواردة في هذه السورة قد تحققت هذه النبوءة أيضاً في هذا العصر، حيث أخبر الله تعالى هنا أنه سيأتي زمان يتم فيه الحظر على وأد البنات بســـن القانون، وسيعاقب الوائد بموجبه". إن الأطفال الذي يتعرضون للاعتداء يكبرون بعواقب سيئة لا بد أن تؤثر سلباً على محيطهم، فتكاد كل ضحية له تنقله إلى ضحية أخرى. والأطفال الذين يتعرضون للاعتداء في صغرهم أقرب لممارسة هذا السلوك الشائن ضد أطفالهم الذين هم بدورهم يحملون آثار هذا الداء العضال في بواطنهم فيصبّون جـــامه، إذا كبروا، على صغارهم.. . ليمتلئ المجتمع بأسقام السلبـــية والتـــشـــاؤم والغضب والعنف والجريمة والمخدرات والمـــرض. وهكذا تستمر المعضلة في حلقة مفرغة لا بد من كسر طوقها.

وغالباً ما تكون آثار الاعتداء على الضحايا مدمّرة ومزمنة. وليس من السهل قياس معدّل الاعتداء على الأطفال في المجتمع لأنه مع الأسف أقل أنواع العنف ظهورًا وعرضة للاحتجاج.

هناك أربعة أنواع رئيسية للاعتداء على الأطفال: الاعتداء الجسدي، الاعتداء الجنسي، الاعتداء العاطفي والإهمال.

سنتناول منها الاعتداء الجسدي فقط.

ما هـــو الاعـــتداء الجسدي؟

يشير الاعتداء أو سوء المعاملة الجسدية عامةً إلى الأذى الجسدي الذي يلحق بالطفل على يد أحد والديه أو ذويه. وهو لا ينجم بالضرورة عن رغبة متعمدة في إلحاق الأذى بالطفل، بل إنه في معظم الحالات ناتج عن أساليب تربوية قاسية أو عقوبة بدنية صارمة أدّت إلى إلحاق ضرر مادي بالطفل. وكثيراً ما يرافق الاعتداء الجسدي على الطفل أشكال أخرى من سوء المعاملة. ومن الأمثلة المؤسفة والشائعة على ذلك ضرب أحد الوالدين لطفله بقبضة اليد أو بأداة ما في الوقت الذي ينهال عليه بسيل من الإهانات والشتائم. وفي هذه الحالة، يعتبر الطفل ضحية اعتداء جسدي وعاطفي في آن واحد.

ويشمل الاعتداء البدني على الطفل الرضوض والكســـور والجـــروح والخدوش والقطع والعض أو إصابة بدنية أخرى. ويشمل أيضاً ضربه بأداة أو بقبضة اليد واللطم والحرق والسفع والتسميم والخنق والإغراق والرفس والخض والضرب على مناطق حساسة من جسم الطفل، كما تشمل إعطاء

الطفل كميات كبيرة من الأدوية أو المهدئات حتى يبقى نائماً . فكل هذه الممارسات وإن لم تسفر عن جروح أو كسور بدنية ظاهرة ولكنها تعتبر اعتداء بحد ذاتها.

المشكلة ومدى شيوعها

إن الاعتداء الجسدي مشكلة متفشية في أنحاء العالم، ومع أن المعطيات الموثوق نادرة جداً، إلا أنه يقدر أنه قرابة ٥٧٠٠٠ طفلاً قتلوا عام ٢٠٠٠، وأكثر من ذلك بكثير هم ضحايا الاعتداء غير المميت وضحايا الإهمال. وتشير الأبحاث أن ٢٠٪ من النساء و٥ — ١٠ ٪ من الرجال قد عانوا من الاعتداء عندما كانوا أطفالاً.

إن بعض العوامل الاجتماعية تلعب دوراً في ازدياد خطر ممارسة العنف الجسدي ضد الأطفال. ومن تلك العوامل: الأسرة الفاقدة لأحد الوالدين وتدني مستوى المعيشة. وبشكل عام، تبرهن الدراسات التي أجريت حول دوافع الاعتداء الجسدي، أن أية ظروف معيشية تفاقم الضغوط على الأسرة أو عائلها أو تصعب التفاعل بين الطفل ووالده ترفع احتمالات تعرض طفل هذه الأسرة للعنف الجسدي. وتشمل هذه الظروف الأطفال ذوي المشاكل الصحية أو بطيئي النمو، والأطفال غير المرغوب بهم والأطفال كثيري الحركة والأطفال الذين يعاني ذووهم من ضغوط معيشية أو يتوقعون من أطفالهم إنجازات غير واقعية أو سلوكًا لا يتناسب مع سنهم.

التعرف على المشكلة

الاعتداء الجسدي هو أكثر أشكال الاعتداء أو سوء المعاملة افتضاحاً لأن مؤشراته الظاهرة تدل عليه. والخطوة الأولى في القضاء على مشكلة الاعتداء الجسدي على الأطفال هو الاعتراف بوجودها. والخطوة التالية هي تعلّم كيفية التعرف على مؤشراتها وأعراضها لتحديد ما إذا كان الطفل يتعرض للاعتداء بالفعل. وهناك العديد من العوامل التي ينبغي وضعها بعين الاعتبار عند التفكير باحتمالية تعرض طفل ما لاعتداء جسدي، وأول هذه العوامل: مكان وطبيعة وعمق أو مستوى الإصابة الظاهرة على الطفل وهل تطابق وصف السبب المزعوم الذي يقال أنه أدى إلى هذه الإصابة أم لا. وهل تتناسب الإصابة مع عمر الطفل أو مرحلة تطوره؟. فمثلا الحروق على شكل قاعدة مكواة أو مشواة أو لفافة التبغ من الصعب أن يكون الطفل قد ألحقها بنفسه خاصة إذا ما كانت في منطقة يصعب وصوله إليها. وكذلك آثار العض أو خدوش الأظافر التي تترك آثارًا طولية متوازية وغيرها من الجروح أو الخدوش التي تدّل على استخدام أداة ما. ومن آثار الاعتداء الأخرى التي قد تظهر على الطفل سن مفقودة أو مكسورة أو بقع صلعاء في الرأس قد تدل على شد الشعر ونزعه أو آثار خدوش أو جروح في طريقها للاندمال.

الوقـــاية

قدمت الكلية الأمريكية لأطباء الأطفال في ٣٠ مارس ٢٠٠٥ وثيقة للأمم المتحدة من أجل الدراسة التي يقوم بها الأمين العام حول العنف ضد الأطفال، هذه الورقة لخصت ما هو معروف عن وسائل تقليل الاعتداء الجسدي على الأطفال وما هو معروف عن الأشكال الأكثر جدلاً من وسائل التأديب البدنية في الأسرة.

باختصار لقد تمت مراجعة كل الدراسات المجراة حول أشهر البرامج المطبقة لمنع الاعتداء على الأطفال منذ ١٩٩٥ ولغاية ٢٠٠٤ فتبين أن أياً من هذه البرامج لم يحقق أية نتائج ملموسة على أرض الواقع في التقليل من نسبة الاعتداء على الأطفال. وعزي ذلك إلى عدم اعتماد أسس علمية من قبل هذه البرامج وإنما كانت معظمها مبنية على الاندفاع والحماس، وكانت بعض البرامج تُروّج لفترة ثم يكتشف بعد مدة أنها غير مجدية فيروَّج برنامج آخر. ولم يكن الوضع أفضل بالنسبة لعلاج الآباء المعتدين على الأطفال. وباختصار، رغم مضي ٤ عقود على الدعم الواسع للتقليل من الإساءة البدنية للأطفال فإنه لم تثبت فعالية أي من البرامج الوقائية أو العلاجية للاعتداء على الأطفال. ويذكرنا ذلك بفشل قانون حظر الكحول في الولايات المتحدة عام ١٩١٩ في التقليل من تعاطي الكحول. في حين نجد أن الإسلام قد أحدث ثورة في هذا الميدان...

التأديب البدني للأطفال

هنالك إجماع أو على الأقل شبه إجماع بين الثقافات والمجتمعات على رفض العنف ضد الأطفال، إلا أن معايير السلوك العنيف تتباين بين الأفراد والمجتمعات والثقافات المختلفة، فعصا الخيزران مثلاً كانت جزءاً أساسياً مألوفاً من وسائل التأديب في مدارس بريطانيا العظمى، وتستخدم لضرب الطلاب على أوراكهم أو أقدامهم أو أيديهم. أما في الوقت الحاضر فيمكن أن يحاكم المدرس الذي يستخدم عقوبات بدنية أخف من ذلك لتأديب الطلاب. وفي جمهورية كوريا هناك ٦٧٪ من الآباء يقبلون جلد أبنائهم بالسوط لتأديبهم، وقد أبلغ ٤٥٪ منهم بأنهم يضربونهم أو يركلونهم أو يضربونهم ضربا مبرحاً.

إن القضايا العلمية تصبح أكثر تعقيداً عندما يكون هناك اختلافات ثقافية جوهرية فيما يتعلق بالحدود النهائية والوسطية. وهذا هو الحال بالنسبة لوسائل التأديب البدنية كالصفع (على المؤخرة مثلاً) والتقييد، التي لها تاريخ طويل من الاستخدام الواسع في ثقافات كبيرة. إن التيار العام حديثاً يتجه نحو التخلص من هذه الممارسات، إلا أن هناك العديد من القضايا المتداخلة منها الاختلافات الثقافية والدينية والحساسية المترتبة عن فرض القيم التي تتبناها المجتمعات الأكثر تقدماً، التي هي ممثلة بشكل أفضل وأعلى صوتاً، على المجتمعات والثقافات الأخرى الأقل حظا من التطور..

إن تأثيرات الضرب غير المؤذي قد نوقش في الأدب العلمي. وينقسم العلماء الباحثون في الموضوع إلى فريقين: الفريق المعارض للعقاب البدني يرى أن كل أشكال الضرب هي مسيئة بغض النظر عن الدعم الموجود من قبل بعض الثقافات أو مهما كانت هذه العقوبات خفيفة. الموقف الثاني هو الموقف الشرطي الذي يرى أن الضرب يمكن أن يكون سليماً أو حتى مفيداً تحت شروط محددة.

وخلال السنوات التسع السابقة للوثيقة، فإن عدداً من الدراسات قد فحصت نتائج العقاب البدني في العائلات الأمريكية من أصل إفريقي مقارنة بالعائلات الأمريكية من أصل أوربي، وجدت كل هذه الدراسات اختلافات هامة في ارتباط العقاب البدني للأطفال مع السلوك المعادي للمجتمع عند الأطفال باختلاف

المجموعة العرقية. ففي العينات الأمريكية من أصل إفريقي أدى العقاب البدني إلى تقليل العنف والسلوك المعادي للمجتمع. إن هذه النتائج تتحدى عمومية أن العقاب البدني للأطفال يتوافق مع نسبة أعلى من العنف، وهي أيضاً تؤكد أهمية احترام الاختلافات الثقافية لدى وضع سياسات تتعلق بالعقاب البدني غير المؤذي للأطفال.

وحديثاً في مارس ٢٠٠٧ قام كل من الدكتور Robert E. Larzelere من جامعة أوكلاهوما في الولايات المتحدة و الدكتور Brett Kohn من جامعة نبراسكا بنشر أول مراجعة علمية للدراسات التي أجريت على تأديب الأطفال البدني، وقارنت بينه وبين وسائل التأديب البديلة المستخدمة من قبل الأبوين. وبمراجعة ٥٠ سنة من البحث على تأديب الأطفال، حددا ٢٦ دراسة ذات صلة بتأثيرات العقاب الفيزيائي على الأطفال. كانت النتيجة التي توصلا إليها أن نتائج التأديب البدني تكون أسوأ مقارنة بوسائل التأديب البديلة فقط عندما يكون التأديب البدني هو الوسيلة الأولية أو عندما يكون شديداً جداً (كضرب الوجه والرأس). إن نتائج التأديب البدني الاعتيادية لم تكن أفضل ولا أسوا من أي وسيلة بديلة، باستثناء دراسة واحدة أظهرت أفضلية للتأديب البدني في منع تعاطي المخدرات. كما عرَفوا نمطاً مثالياً للعقاب البدني، عرِّف بالضرب المشروط، والذي أعطى نتائجًا أفضل من نتائج ١٠ وسائل تأديب بديلة من أصل ١٣، ونتائج مماثلة للتقنيات الثلاثة الباقية. وعرفوا الضرب المشروط بأنه ضرب غير مؤذ، يستخدم عندما لا تجدي وسائل التأديب البديلة الأخف مثل العزل (يبقى الطفل خارج الغرفة لفترة زمنية محددة) (بناء على بحث أجري على أطفال بعمر ٢- ٦ سنة). وعرف الضرب غير المؤذي بأنه صفعتين تقريباً بيد مفتوحة على الأَلْيَتَيْن بشرط أن لا يكون الأب عندها فاقد السيطرة على نفسه نتيجة الغضب. إن الضرب المشروط يعلم الطفل أن يتجاوب مع وسائل التأديب الأخف، مما يقلل الحاجة للجوء للضرب مستقبلاً.

التطبـــيقات

يشير البحث الحالي إلى أن التأديب البدني الاعتيادي لا يترافق بأي نتائج سيئة على الأطفال زيادة عن أي أسلوب تأديبي آخر. وفضلاً عن ذلك فإن ضربتين غير مؤذيتين هي واحدة من أكثر الوسائل التأديبية جدوى عندما لا يستجيب الأطفال بعمر ٢- ٦ سنوات للوسائل التأديبية الأخف، كالإخراج من الغرفة لبعض الوقت... وهذا يعني أن حظر الضرب بالكامل سيكون له نتائج عكسية. ومما يدعم هذا الموقف، أن سجلات الجريمة في السويد مثلاً تشير إلى أن الاعتداء البدني على الأطفال والاعتداءات الإجرامية قد ازدادا خمسة أضعاف؛ بنسبة ٤٨٩٪ من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٩٤ أي خلال الـــ ١٥ سنة التي تلت الحظر الذي فرض في السويد على كل أشكال ضرب الأطفال (في عام ١٩٧٩).

إن خلاصة هذا البحث لا تعني أن على الوالدين أن يستخدموا التأديب البدني بأي طريقة يختارون. إن هدف حظر الضرب المقترح هو التقليل من معدلات الإساءة للأطفال وأشكال التأديب البدني الشديدة. وبقدر ما يتمكن الوالدان من المحافظة على

علاقة إيجابية مع طفلهم، ويشجعوا السلوك الطيب، ويستجيبوا للسلوك السيئ بوسائل تأديب خفيفة وفعالة، بقدر ما تقل حاجتهم لاستخدام الضرب أو وسائل الردع الأخرى. يجب أن يستخدم الضرب وفقاً لنتائج البحث العلمي فقط عندما لا يستجيب الأطفال لوسائل التأديب الأخف، أو من أجل إيقاف سلوك مؤذ (كالركض إلى الشارع). يجب عدم استخدامه مطلقاً لدى الرضيع خلال السنة الأولى ونادراً إن لم يكن مطلقا قبل سنة ونصف من العمر. يجب على الأهل التأكد من أن أطفالهم يدركون أن أي إجراء تأديبي بما في ذلك الضرب، يكون دافعه هو حب الأهل واهتمامهم. وأخيراً فإن التأديب البدني يجب دائماً أن يستخدم بطريقة تقلل من الحاجة لاستخدامه مستقبلاً. إن الضرب المشروط يحقق ذلك من خلال تعزيز الاستجابة للوسائل التأديبية الأخف. الأطفال مختلفون، فالوسيلة التأديبية الواحدة قد لا تجدي مع كل الأطفال والوسيلة نفسها قد لا تناسب الطفل نفسه في كل الأوضاع، وينبغي على الأهل أن يستعملوا بحنكة طيفاً من خيارات التأديب لمساعدة أطفالهم للوصول إلى أقصى ما يمكنهم وفق قدراتهم الكامنة، بدلاً من أن نحظر أو نقيد خيارات فعالة من غير ضرورة.

هذه هي خلاصة أحدث الأبحاث العلمية في الموضوع إلا أننا يجب ألا نأخذ ما يقدمه العلماء بتقليد أعمى إنما نأخذ منه ما يتناسب مع قيمنا وأخلاقنا وديننا، فالعلم الحقيقي، كما يقول أمير المؤمنين نصره الله، لا يمكن أن يحصل عليه الإنسان ما لم يتحل بالتقوى، فالمؤمن يرى بنور الله اللطيف الخبير الذي لا تدركه الأبصار وهو يدركها. إلا أن هذه النتائج تثير تساؤلاً حول جدوى الجهود لحظر استخدام الضرب مطلقاً لتأديب الأطفال، وهل أدى ذلك لتأثيرات سلبية كان من شأنها زيادة العنف ضد الأطفال؟!.

وللحديث بقية في عدد قادم نتناول فيه موقف الإسلام من هذا الأمر إن شاء الله.

المصـــادر:

١. التقرير العالمي حول العنف والصحة الصادر عن منظمة الصحة العالمية ٢٠٠٢

٢. الوثيقة المقدمة من الكلية الأمريكية لأطباء الأطفال عام ٢٠٠٥ إلى الأمين العام للأمم المتحدة لدراسة العنف ضد الأطفال.

٣. دراسة Robert E. Larzelere و Brett Kohn: مقارنة نتائج العقاب البدني مع طرق التأديب البديلة. مارس ٢٠٠٧.

٤. الموقع الإلكتروني:

http://www.be-free.info/parents/

/Ar/emoabusepa.htmAr

الوحدة خير من جليس السوء

من تاريخ الطب العربي

بقلم: هديل فضل عودة

نُشر في مجلة "البشرى" الصادرة بالكبابير
عدد رجب وشعبان ١٤٢٩ هـ

امتازت الحضارة العربية الإسلامية بالعديد من العلوم، مثل العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية وغيرها، وفي مقدمة هذه العلوم كان الطب. فمنذ أن وجد الإنسان على هذا الكوكب وجد المرض أيضًا، وقد دفع المرض إلى إنشاء الطب. ومن العوامل التي أدت إلى تطور الطب العربي هو تشجيع الإسلام على دراسة هذا الموضوع، حيث جاء في الحديث النبوي الشريف: "يا عباد الله تداووا، إن الله ﷻ لم ينـــزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله". وقال الإمام الشافعي: "لا أعلم علما، بعد الحلال والحرام، أنبل من الطب". ومن أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الطب العربي هي الأمور التي ترجمت إلى العربية في مجال الطب من الحضارات الأخرى وخاصة اليونانية، مما جعل الأطباء الكبار من العرب والمسلمين يجمعون في علمهم بين الطب والفلسفة مما أدى بالأطباء للنظر إلى الإنسان نظرة كلية شاملة تشمـــل الجسد والنفس، وكان هذا قد ساهم في وضع المناهج والنظريات الطبية المتكاملة. ولهذا فقد كان من مميزات الطب العربي أن على من يود أن يكون طبيبًا ناجحًا أن يكون فيلسوفًا أيضًا وقد ميز العرب بين الطبيب وهو الذي كان يتقن الطب والفلسفة وبين المتطبب الذي كان يتقن الطب فقط. وهذه السمة حققت للأطباء العرب والمسلمين مثل الرازي وابن سينا وابن رشد مكانة رفيعة في تاريخ الحضارة الإنسانية.

ومن مميزات الطب العربي الشمولية وهي الاهتمام بالجسد والنفس على حد سواء، حيث إن هناك علاقة قوية بين الأمور المادية (الجسد) وبين الأمور المعنوية (النفس). فالطب اليوناني اهتم بالدرجة الأولى بالأسباب المادية للمرض، والطب الهندي اهتم بالأسباب النفسية. أما الطب العربي فاهتم بالجانبين معًا. فإذا فشل الطبيب في كشف الأسباب المادية للمرض يتجه مباشرة إلى الأسباب النفسية، وقد روي الكثير في كتب تاريخ الطب حول مهارة الأطباء العرب في العلاج النفسي.

يعد التسامح سمة أساسية من سمات المجتمع الإسلامي ما أدى إلى وجود هذه السمة في مجال الطب أيضا حيث إنه لم يكن الطب مقتصرا على دين أو عرق أو جنس معين بل درسها ومارسها كل من كان يعيش في الدولة العربية بغض النظر عن هويته. وقد تجلى التسامح الديني أيضا في مجال الطب العربي وتمثل ذلك في القوانين التي سنت في مستشفيات الدولة العربية الإسلامية حيث نصت هذه القوانين على عدم التمييز في المعالجة بين المسلم وغير المسلم وبين العربي وغير العربي وبغض النظـــر عن الدين والعرق.

يُحكى أن رجلاً من بلاد الفرس جاء برسالة من كسرى ملك الفرس إلى الخليفة عمر بن الخطاب، وحينما دخل المدينة سأل عن قصر الخليفة، فأخبروه بأنه ليس له قصر فتعجب الرجل من ذلك، وخرج مع أحد المسلمين ليرشده إلى مكانه. وبينما هما يبحثان عنه في ضواحي المدينة. وجدا رجلا نائمًا تحت شجرة، فقال المسلم لرسول كسرى، هذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فازداد تعجب الرجل من خليفة المسلمين الذي خضعت له ملوك الفرس والروم، ثم قال الرجل: حكمتَ فعدلتَ، فأمنتَ فنمتَ يا عمر.

للمزيد من المعلومات الرجاء زيارة موقع الفضائية الإسلامية الأحمدية على شبكة الإنترنت :

http://www.mta.tv

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine / Vol. 22 - Issue 3, July 2009